تمثال الحرية - ٦
حجاج العالم - ٧٣
رسالة إلى جونسون - ٠٤
سنة ٧٦٩١من يومي لأمسي! - ١٦
من يومي لأمسي! - ٢٦
أنا وأنت - ٥٦
توبة - ٧٦
يا حلم حياتي..! ....- ٠٧ -
يوم السودان! - ٤٧
أغنية للمستقبل - ٩٧
سمراء - ١٨
حياة..! ....- ٦٨ -
ضجة الربيع - ٧٨
حب مكتوم! - ٠٩
ثورة السودان - ٢٩

يا أخي سعدا() - ٥٩ -

النور البعيد - ٣٠١ -

اغتراب - ٢١١ -

بقايا من قصيدة م[illegible]م[illegible]قة .... - ٠٢١ -

ترانيم - ١٢١ -

موشَّح ناقص - ٦٢١ -

إلى فاتنة..!.. - ٨٢١ -

نَجمة - ٠٣١ -

انتفاضة - ٣٣١ -

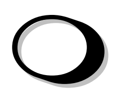
العودة - ٥٣١ -

الطارقة المجهولة - ٨٣١ -

هذا الريح!() - ٠٤١ -

تجربة - ٢٤١ -

أتبكين؟! - ٦٤١ -



ضاع مني شعر كثير، واختنق شعر أكثر.. أما الذي ضاع، فقد صادرته الحملات التي عرفتها منذ عام ٢٤٩١، والتي استمرت تنتزع مني كل كتاب فيه فكر، وكل مخطوط كتبته من شعر أو رواية أو قصة قصيرة.. وفي بعض تلك الحملات صادروا ديوان المتنبي؛ لأن غلافه كان أحمر اللون!

وأما الذي اختنق في صدري من شعر، فعفا الله عمن خنقوه في صدري.. وعذرهم عندي هو حسن النية!

وغاية ما يمكن أن يؤاخذوا به هو القتل الخطأ.. ولكن لعلهم أحسنوا! من يدري؟!

وما بين دفتَي هذا الكتاب هو كل ما بقي من شعر، أدفعه إلى المطبعة؛ ليكون هو "ورسالة من أب مصري" وقصائد أخرى "مجموعتين" يضمان قصائدي، عسى أن يجد فيهما القارئ تصويرا لحياتنا الاجتماعية والوجدانية عبر نحو أربعين عامًا مضت.. وعسى أن يتعرف منها الدارس على الأحوال التي كابدها جيلنا خلال تجارب التعبير.. ثم وهو يخوض الغمرات!

تمثال الحرية•

(مسرحية شعرية خيالية في فصل واحد)

"تمثال الحرية في نيويورك.. التمثال بهيئته المعروفة في شكل امرأة بتاج ذهبي ترفع شعلة.. التمثال عليه بقعة من شعاع يتوهج في ليل يملؤه هدير المحط.. هنا وهناك رجال ونساء وأطفال في ظلام كامل، بملابس مختلف الشعوب.. عندما يتحدث أحدهم، ينسكب عليه ضوء غريب كهذا الضوء الذي نشاهده في الأحلام".

التمثال : (في صوت خافت):

أنا أم المنفيين جميعًا.

أرفع مصباحي بجوار الباب الذهبي

برسالة ترحيب للعالم

(أم مصرية بملابسها القومية تتحسس قاعدة التمثال.. معها ابنها في مطلع الشباب.. والأم تمسح دموعها)

(•) مثلها المسرح القومي العراقي في بغداد، ومثلتها بعض فرق المحافظات في مصر سنة ٧٦٩١، سنة ٨٦٩١.

الابن : كفاك دموعًا يا أمي.. يكفيك دموعًا

هو ذا تمثال الحرية

وقد علمني أستاذي (وهو تعلم في أمريكا في

مشروع الفولبرايت) علمني هذا الأستاذ

أن أميركا أم العدل.. وأم الخير.. وهي ملاذ..

الأم (تقاطعه):

أم الخير؟ أم الخير اسم امرأة من حاراتي

فقدت عائلها في سينا

بسحابة نار من قنبلة أمريكية

قنبلة نابالم..

التمثال (ما زال يهمهم):

أيًا من يكن القادم

أتلقاه بالترحيب

(صوت رجل أمريكي محطم من تحت التمثال) أو التعذيب.

الأم (ما زالت تتحسس القاعدة):

بقاعدة التمثال كلام

اقرأ يا ولدي اقرأ

الرجل الأمريكي المحطم من تحت التمثال:

كلام عانينا غيره!

صوت امرأة أمريكية:

لا تستهزئ

الأم : اقرأ يا ولدي واعلم.. خذها حكمة.

من يكتب لا يكذب أبدًا.. للكلمة حرمة

(الابن يقرأ ويرتفع مع صوته صوتُ التمثال)

ها هنا يرسو الشريد المضطهد

التمثال:

ها هنا أرفع شعلة

كي أنير الطرقات

كاهن بملابس بوذية:

شعلة من قنبلة

جعلت أرض بلادي خربات!

الابن (ما زال يقرأ):

لهيبي ضوء محتبس

البوذي : ضوء نجس.. نجس.. نجس

(امرأة آسيوية (صارخة في كنفها):

ضوءك إشعاع ذري

طفل ياباني (صارخا في كفنه):

أين المخبأ.. أين المخبأ؟

الأمريكي المحطم:

في هيروشيما لا مخبأ

رجل ياباني (صارخا في كفنه):

لا شيء يقينا.. لا ملجأ

الأمريكي المحطم:

في نجازاكي لا ملجأ

المرأة ذات الكفن للأم المصرية:

اختبئي يا بلهاء اختبئي.. أخفي ولدك

الرجل (ذو الكفن):

لا ملجأ من إشعاع الموت

حتى الأنسام

مـ ثقلة بزفير الموت

(تمثال الحرية يحني رأسه في خجل شديد.. يده ترتعد بالشعلة وتهبط قليلا، ولكنه يحاول أن يتماسك)

التمثال :

لهيبي ضوء المحبوسين

واسمي أم المنفيين

الشعلة في كفي كلمات

أُلقيها في وجه الغيب

لتضيء طريق الظلمات.

رجل زنجي:

الشعلة في كفك ذنب

امرأة زنجية: الشعلة ليست كلمات، بل لعنات.

عامل من أمريكا اللاتينية:

الشعلة من وهج متحجر

صيغت من عرق التُعساء

حيث الشمس تذيب الصخر

وتصهر أحلام العمال في

أمريكا اللاتينية

الأم المصرية:

يا ولدي ما هذا كله؟

لا أفهم هذا! فلتقرأ.. اقرأ.. اقرأ

الابن (متلعثما):

أستاذي يا أمي قال:

- وهو تعلم في أمريكا في مشروع الفولبرايت -

إن أميركا نبع الحق، ومهد الصدق، مع الحرية.

الأمريكي المحطم:

بل أعلم أستاذك أنت، أن أمريكا نبع الموت

ومهد الكذب.

وتعلم ألا تتعلم

مما يلقيه عليكم

مبعوثو الفولبرايت

الأم المصرية:

اقرأ يا ولدي اقرأ

الابن (يقرأ وصوت التمثال):

لست كعملاق الأسطورة

(يرتفع فيغمر صوته)

عملاق أخرس من صلب

(والتمثال يحاول أن يكون ثابتا) يمد ذراعيه للعالم كالتنين

بل أقف هنا

على بوابات المغرب

امرأة أعظم من أية واحدة أخرى

في يدها شعلتها الكبرى

اسمي: أم المنفيين أنا

أرفع مصباحي الرائع

بجوار الباب الذهبي

وأصرخ في كل التعساء المظلومين

فلتبق أراضيكم لكم

شيخ فلسطيني:

هذا كذب.. هذا كذب

تزييف في وجه العصر

يا سالبتي أرض جدودي

ومبيحتها لعصابات الصهيونية

صوت التمثال (مستمرا):

لهبي ضوء محتبس

أعطوني فقراء الناس

وجماهيركم التواقة للحرية

شاب فلسطيني (يصرخ ملتاثا):

وطني عكا.. وطني عكا!!

من ضيع مني وطني عكا؟!

أم فلسطينية:

على شفتيك دماء صغاري

التمثال (تساقط قطرات دم على جسده وهو يتكلم)

أعطوني فقراء الناس

وجماهيركم التواقة للحرية

الشيخ الفلسطيني:

أَلِتلتهميهم في جوفك؟!يا

آكلة حقوق بلادي

صوت امرأة إيرانية:

ضوءك باهت

امرأة هيروشيما:

لهبك إشعاع ذري

شاب مصري:

شعلتك النورانية (ليست غير شعاع نيون)

في أسواق النخاسين

رجل فلسطيني في ملابسه القومية:

وطني عكا.. وطني عكا

من ضيع مني وطني عكا؟!

امرأة فلسطينية:

وحدائق زيتون في يافا الجميلة

حيث الحياة تسير نابضة كأحلام الطفولة

وأنا وزوجي هانئان نعيش أفراح الحياة

وصغارنا يتفيئون ظلالنا

ويسابقون الريح بين حقولنا

الرجل الفلسطيني:

من نحو تسعة عشر عاما !!.... ويلتاه

المرأة الفلسطينية:

من ذا الذي ملأ الحديقة بالرصاص؟

من ذا الذي ذبح الصغار؟

الرجل الفلسطيني:

سالت دماؤهم البريئة فوق خضرة أرضنا

المرأة الفلسطينية:

يا ويلتاه.. متى القصاص؟

الرجل الفلسطيني:

أشلاؤنا اختلطت بحبات الكروم

وإذا بنا

من بعد دارتنا المنيعة والسكينة والنعيم

والمجد والجاه العريق

أنضاء مهزولين.. يسلمنا الطريق إلى الطريق

تمثال الحرية ينحني خجلا:

أنا تمثال الحرية

اسمي: أم المنفيين

اعطوني فقراء الناس

وجماهيركم التواقة للحرية

رجل كوري:

ألتلتهميهم في جوفك؟

التمثال :

لهبي ضوء محتبس

واسمي أم المنفيين

شيخ فلسطيني:

منفي من بيت المقدس

وأنا جاوزت السبعين

نفاني من وطني المسكين

عدوانك أنت على وطني

لاجئة : عدوانك أنت على أرضي..   وعلى عرضي

يرميني في التيه الملعون

لاجئ آخر:

شريد من ناصرة يسوع

قسيس عربي:

عدو يسوع

يشري في الهكيل ويبيع

أقاموا في المهد القدسي استعراضات الجلادين

فتاة من القدس:

حيث يقدم أطفالٌ جد دللوحش المجنون

وتسُاق عذارى أورشليم إلى التنين!

التمثال   (يده تتراخى بالمشعل) لهيبي ضوء محتبس

والشعلة خالدة في كفي

شاب مصري:

الشعلة ليست غير "نيون"

في أسواق النخّاسين

ودولة فتيات الترفيه

(تنتفض فتيات في ثياب البحرية الأمريكية والسراويل القصيرة.. وفي أثواب الاستعراضات الأمريكية، ويحطن بالتمثال وبالشاب المصري، ويدرن في المكان في حركات إيقاعية).

الفتيات :

لم تشتمنا؟ ما حيلتنا؟

ما نحن سوى أدوات الصيد!

اجذِب بالجنس

وقيد من تذبحه بالمصلحة الكبرى؛ كيلا يفلت

حتى الموت

اجذب واربط. لكن أحكم ربط القيد

الشقراء لرجل أسمر

والسمراء تثير الأشقر

والبيضاء لرجل أصفر

الكهل له بنت العشرين

والشيخ له بنت أصغر

والطالب يهوى امرأة أكبر

والعامل..

المصري منتف ضمقاطعا:

هذا عار للبشرية

الفتيات :

لم تشتمنا؟! ما حيلتنا؟!

نحن نعيش كدود الأرض

أتحب فتاة بذل العرض؟!

لكنا نجذب بالجنس

من أجل الأمن القومي

ونشْر النسق الأمريكي

ومهما نأخذ لا نأخذ شيئا يعدل ما نعطي

(التمثال في خجل شديد ترتعد الشعلة في يده،

وتسترخي يده بها تماما، وينكس رأسه الشامخة)

التمثال :

أهذا يحدث.. وأنا أم؟ يا للعار!

أهذا يحدث من خلفي؟

عار لا يغسله ماء.. حتى ماء الأطلنطي!

رجل آسيوي:

هذا يحدث تحت ظلالك يا تمثال الحرية

التمثال :

هذا عار للبشرية.

رجل صناعة أمريكي:

يا للسيقان العريانة!

نحن نشق طريق النصر

ونسير بنورك للعالم

(للتمثال)

ففيم تغضب يا تمثال؟

رجل أمن أمريكي في هيئة مريبة:

أأنت شيوعي؟.. قل.. قل

رجل أمن أمريكي آخر للتمثال:

الأمن القومي يحتم

ألا تهذي بعد بشيء مما كنت تقول الآن!

وإلا استجوبناك .. أتفهم

رجل الأمن الأول:

وما أدراك

بزنزانات الاستجواب؟!

التمثال :

أنتم عاري.. ابعـ د عني. أنتم عار البشرية

رجل الأمن الأول:

التمثال إذن يتآمر ضد الأمن الأمريكي

رجل الأمن الثاني:

هو زنجي متآمر.. انظر لونه

الأول :

وشيوعي

الثاني (للتمثال):

ستحاكم بالجاسوسية

الأول :

يا تمثال الحرية..

من هم شركاؤك ضد الأمن الأمريكي؟

الثاني :

أمهلني حتى أرجع فورًا برجالي

كي نحملك إلى زنزانة الاستجواب

"يخرجان"

الرجل الأمريكي المحطم:

لا.. لا.. مهلا.. رفقا رفقا بالتمثال

عد يا تمثال إلى صمتك.

وخذ العبرة من غيرك!

لن تحتمل عذاب التحقيق الباطش

حتى لو كنت من الفولاذ

خذ مني العبرة يا تمثال

وأنا رجل أمريكي

أنا أستاذ في الجامعة، ولي وعي بالمسئولية

مسئولية أستاذ متحرر

يعرف ما شرف الصدق

كنت أدرب طلابي ليقولوا الحق..

وأعلمهم أن الصدق في هذا العصر

وأن مثقف هذا العصر عليه ضريبة ألا يسكت عن باطل

وأن يتحدى بالكلمات وبالموقف

ظلمات الشر

وفصلت من الجامعة. وهمت على وجهي في الطرقات

وكدت أموت من الجوع

وظللت أقول كما علمت تلاميذي.. لم أتوقف

ألقيت سعير الكلمات

في وجه ركام الظلمات

أخذت أصوغ الوجدانات بما أكتب

وطبعت كلامي في صفحات

وأدنت به العصر المذنب

وشعرت بنفسي - رغم الفاقة - كالعملاق

في وجه صغار النهازين.. أجل عملاق

أدين الصمت المذعن والمتآمر في شتى الآفاق

أنا رجل حر.. حر

أطلقت كلامي في جرأة

وأدنت العصر!

لكني فجأة

وقعت وما أعرف كيف

ألقوا بي في سجن ما.. سجن ظاهره كالقصر

وباطنه ظلمات الكهف..

وهناك عرفت من الأهوال الوحشية ما

لم تعرفه قط أحط عصور الهمجية

الإنسان هناك يعذب.. ثم يعذب ثم يعذب

ثم يفيق ليتعذب

وفي ذاك التيه المذنب

الإنسان الرائع أنبل ما في هذا الكون

يضرب بالأحذية، ويشتم، باسم الأمن

أمن الدولة!

يصنع هذا بالإنسان

أمن الدولة يبصق في وجه الإنسان

يدمر روحه

ولكي تفرض هيبتها سلطات الأمن

الإنسان يعلق من قدميه كي يضرب

وكأن الإنسان ذبيحة

ويظل بهذا إنسانا!

يضرب حتى يسقط في تيه الإغماء

ثم يقام ليستجوب

ويستكتب

ما ليس بحق. كي ترضى سلطات الأمن

فيحكم عالمنا هذا قانون الخوف!

(تمثال الحرية ينزل عن قاعدته يمشي منكسا رأسه)

التمثال : أأنا تمثال الحرية أم ناطور يحمي الزيف؟!

زنجي أمريكي:

هذا ما يحدث للأحرار من البيض

أما للسود.. فوا أسفا!!

التمثال يتجه إلى الظلام:

حسبي هذا.. أعرف.... أعرف

هو ذا عاري الأبدي

صوت راهب بوذي:

لا تذهب في جوف الليل

اسمع مني يا تمثال

التمثال (وهو يذهب):

أعرف.. أعرف

الزنجي الأمريكي:

خلفك وكر السفاحين

قاتل لنكون وراءك

أصوات مختلطة:

وراءك يستخفي القتلة

التمثال "يرمي المشعل":

أصوات مختلطة:

وراء مشاعلك الوهاجة عربد الظلمة

الزنجي الأمريكي:

ما أنت سوى رب مكذوب

صنم ظاهره الرحمةْ

وباطنه نار التعذيب

الأم المصرية تواجهه وتستوقفه:

يا تمثال الحريةْ

أمامك أم مصريةْ

أم تحترم الكلمات

وتصدق أن الجرح قصاص

لا تعرفُ شيئا في الدنيا إلا حب جميع الناس

لا تعرف حتى َفك الخط

لا تعرف إلا ري الغيط

وزرع الأمن وجْني

الحب لكنك قد أرسلت

إليها من ر ع منها أمن

السرب

زرعتَ البغي - إذن - فلتحصد من بغيك ثمرات السخط.

المرأة الفلسطينية:

يهدي الأضواء المنبعثة من مشعلك إلى الشيطان.

الأم المصرية:

زحف القرصان

إلى أرض باركها الله ولم تعرف من قبل الشر

رجل آسيوي:

إلى أرضي

امرأة: وإلى عرضي

أصوات مختلفة:

وراءك يستخفي القتلةْ

وعلى الأضواء المنبعثة من تلك الشعلةْ

تسري الأهوال

التمثال يجري أيضا:

لماذا جئتم كلكم ...؟

الرجل الأمريكي المحطم:

هذا أفظع مما يتخيله عقل بشري

صوت رجل أفريقي:

هذا هو ما يصنعه الاستعمار الأمريكي

شاب وفتاة أمريكية يقفزان:

سأبني عشك يا شارلوتي بالتقسيط

غدا نتزوج يا شارلوت

رجل أمريكي شيخ لامرأة أمريكية:

ليصبح عبدا للتقسيط!

المرأة الأمريكية:

ويصبح عبدا بالتقسيط!

في يوم ما كنا مثله

الشاب الأمريكي:

قسط يدفع للثلاجة

البنت الأمريكية:

قسط آخر للغسالة

وقسط آخر للمكنسة

الشاب :

وقسط لأثاث البيت

الأمريكي المحطم:

حياة تذهب بالتقسيط!

المرأة الأمريكية:

ثم يجيء ملاك الموت

الأمريكي المحطم:

هو لا يعرف ما التقسيط!

البنت :

إن أزعجنا شيء ما، فلدي الحقنةْ

الشيخ الأمريكي:

آهٍ.. حقنة أفيونٍ..

الشاب الأمريكي:

والحقنة تصنع جنة

الأمريكي المحطَّم:

ويفيق المسكينان معا. وهنا المحنةْ

الأمريكي العجوز:

ليعيشا في تخدير الحقنة

الفتاة الأفريقية:

أتراها تعرف شيئا ما؟!

عن فتيات في فيتنام

أو في الكونغو أو في القدس

يحلمن بعش الزوجية؟!

الفتاة الأمريكية:

ما فيتنام أو الكونغو أو بيت المقدس ؟!

هذا شيء لا يعنينا نحن، دعه للساسة

دعينا نحلم يا زنجيةْ

فالأحلام لهن قداسةْ

الأمريكي المحطم:

بالتخدير عن الواقع

يصنع جِنرالات المال سعادة هذا الجيل الرائع!

امرأة أفريقية:

تلك سعادتهم حقا في أمريكا

التمثال :

أين المهرب...؟!

أين عساني أهرب منكم؟!

ابتعدوا عني.. من أنتم.!؟

أنا لا أعرفكم .. لا أعرفكم

(يتقدم كل من الموجودين كأنه يحاصر التمثال)

وكل يلقي كلمته كاللعنة:

- أنا ذا شيخ من فيتنام

- أبناؤك عاثوا في بلدي

- قطعوا رأس ابني ومشوا يزهون به في طرقاتي

- وأنا امرأة من كوريا-

وأنا طفل من هيروشيما-

وأنا امرأة من إيران - وأنا

شيخ من يونان - وأنا كهل

من أفريقيا

- وأنا مفتٍ في طهران

الـ

- وأنا راعٍ من آسيا-

وأنا أمريكي حر أُدعى بالنمر المتمرد

- وأنا أمريكي أسود-

وأنا شيخ متعبد

من غزة حيث يهدد المعبد

شمشون ما في كل مساء

على نفسه

وعلى الأعداء

من بأسه!

الأصوات تختلط:

- سحقتم أمني وصفائي

حطمتم قيِمي وإبائي

سممتم بالإشعاع القاتل خضرة أرضي، وسمائي

التمثال وهو يختفي:

من كل العالم يزحف موج بشري

أعنف من موج الأطلنطي

كل يشكو مما يصنعه أبنائي

فكيف أواجه هذا العار

سأذهب في جوف الظلمات إلى أن ينهض أبنائي

من ينقذني

أما مِن حـ ر في أمريكا ينقذ سمعة أمريكا؟!

(يختفي تماما وتبقى قاعدة التمثال خالية)

الأصوات تختلط:

- يا تمثال الحرية.. أين ذهبت؟

- أخفاك العار؟

- انطفأت شعلتك الذهبية؟-

قف.. واجه عارك يا تمثال الحرية

(يخرجون جميعا ويدخل رجال الأمن، ومعهم رجال شرطة، وجيش)

رجل أمن أمريكي:

أين مضى ذاك المعلون؟! يا للتمثال!

ثانٍ : كنا سوف نعلقه من قدميه كي يعترف

ثالث : بل عندي بعض أساليب

مستحدثة في التعذيب

رابع : أنترك قاعدة التمثال إذن عريانةْ؟

الأول : لا، فلنرفع شيئا أعظم من تمثال الحرية

ثان : شيئا ينفعنا نحن

ثالث : ويدل على هيبتنا نحن رجال الأمن

(الرجل الأول ينادي من في الخارج ويتمشى مختالا
في الساحة):

هاتوا بارجة الحرية

الثاني : هاتوا "تمثال ليبرتي"

الثالث : هي ذي الوجه الو ضدلأمريكا:

ليبرتي.. بارجة الجاسوسية

الأول : ها هي ذي آخر صيحة

لتماثيل الحرية !!!

سنة ٧٦٩١

حجاج العالم

(عن شيلي)

أيها الهائم في الأفق البعيد

أيها الشاحب من طول السفر

أيها الكوكب يبدو كالطريد

تائها لم يدر أين المستقر

نبني في أي جحر تختبئ

عندما تبدو كومض منطفئ

أيها المشرف من أعلى السماء

وجناحاه من النور البهي

إيه يا روحا تبدت في الفضاء

تتراءى في وميض عبقري

أحبيس أنت في قاع الفلك ؟؟

أم كهوف الليل تطوي هيكلك؟!

قد بدا وجهك جد شاحب

فلتبح يا كوكبي: ما يكربك؟

أحنين نحو شيء غائب

أم ركام السحب حين تحجبك؟

صارفات عنك من تؤنسهم؟!

حاجبات منك من تحرسهم؟!

أم عسه الألم المر الكئيب..

ج

لفراق الأرض من غير رجوع

يا وفيا لم يطق بعد الحبيب

هل لعمن بعده أي هلوع

فبدا بين النجوم الزاهرة

يرمق الأرض بعين حائرة!!

إيه يا ركبا وعى الله رحيله..

وحده، والكون في مهد الصبا!

موكب لم يخلق الله مثيله

كوكب يدفع فيه كوكبا

هو كالأرواح في موكبها

عندما تلعب في ملعبها

واسـمعي لـي أنـت يـا هـذي الريـاح

تـذرع **الـ**كـون كمنبـوذ شـريد

ضـلمه السـير وأضـواه **الـ**نـواح

أنشـدي عشـك **فـ**ي **الـ**روض النضـيد

أو خذيه في ثنيات القلل

فهناك الحكمة العليا تطل!!

(نشرت في مجلة الثقافة سنة ٩٣٩١)

رسالة إلى جونسون

رئيس الولايات المتحدة في ذلك الوقت

أنا لست أقرئُك السلام

فلا سلِمت

ولأنت أقسى لعنة كتبت على قدر السلام

ولأنت وصمة عصرنا الوضاء.. وصمته الزرية

يا عار دنيانا تخلف من عصور بربرية

من أي أغوار الجحيم أتيت.. ويحك لِمَ أتيت؟!

من أي كهف مذنب الظلمات جئت.. وكيف جئت؟!

من أية الليلات في سادوم قد شكلت

يا ملك السفاح

يا إمبراطور الزراية والمهانة والذنوب

لمَ عدت من قاع المغيب؟

كم قطعة فضية تعطي لتسليم المسيح؟

ولمن تبيح

دم الصباح؟

ولمن مِن الأحبار بعت الكبرياء

وبكم تبيع من الجراح

أو الدماء؟!

منذْ جئت أنت

والذعر ينتهك الأنام

والقاذفات الموت قد دمرن أسراب الحمام

هل عدت أنت

بكل أهوال الحريق، وكل غاشية الظلام

فلا سلمت

ولا سلام

أنا لست أقرئُك السلام

فلا سلمت

***

إني لأذكر أنني من نحو سبعة عشر عاما أو أقل

خاطبت إنسانا له قسمات روحك.. أو أضل

وله مكان القلب - مثلك - قطعة من صخر تكساس الأصم.

وله – كشأنك - للدماء تعطش لا ينطفئ

وله - كشأنك - كِذْبة في كل يوم

والكذب يملأ شدقي الكذاب بالحصوات.. لكن لا يكف

ويظل يعبر فيه من زيف لزيف

ثم انتهى الزمن الصدئ

وتنفس القلب الحزين وشع في وجه الحياة

أمل النجاة!

كنت انتهيت. (وكان اسمك حينذاك "ترومن" أو نحو ذاك..) فكيف عدت؟!

إني لأعجب كيف تُبعث من جديد

ولم بعثت؟

في غير وقت المعجزات؟

إني حسبتك ضعت في النسيان من زمن بعيد

لكن طيفك ذا يعود..!

ها أنت ذا قد ع دت.. ويحك كيف عدت

أمشاج م سخٍ للجنون؟!

فمن تكون..

من أنت؟! قل.. لا كنت.. كيف بعثت من قبر الخطايا

كسفا تهب على جلال العصر من ليل البغايا

لتحيل كل معابد الدنيا وأقداس الحياة إلى ثمود؟!

هل عدت تنشر في المدى

سجا الردى؟!

وتصب ألوان الكآبة في الشفق

هل عدت أنت؟!

أأنت.. أنت؟ ويلاه.. إنك أنت أنت!

فكل شيء يختنق

ونضارة الأحياء يلفح ها القلق

ها أنت ذا تمشي على الألق المشعشع في الحقول

كالذبول!

وتقيم أعواد المشانق في الأفُق

بدل النخيل

ها أنت ذا قد عدت للدنيا الجميلة كالوحوش البائدات

تسير من أرض لأرض

بضراوة الشر القديم المنقرض

وعلى مشافرك المخيفة بعض أشلاء الضحايا

عيناك تنتهب السبايا

ونبالة الإنسان تدهسها بأظلاف غلاظ مُدْرعاتْ

وتدوس ميراث الحضارات العظيم

وتسير فوق طراوة الأرض الندية كالقضاء

متطاوس الخطوات تسقُط من خطاك على النسيم

بقع الدماء

ها أنت ذا - مذ عدت - قد فجرت أنهار الدموع

وسحقت ما منح الربيع

ومضيت مثل كواسر الطير الخرافي القديم

لتحيل أجواز الفضاء إلى جحيم

وتسير بعد إلى بحيرات السكينة والصفاء

حيث الصغار على شواطئها الأمينة يلعبون ويحلمون

بلا هموم

وسواعد العشاق تعتصر السعادة والنعيم

والقلب يستصفي حنينه

والكون يغترف السكينةَ

لتثير إعصار الشقاء!

فمن تكون؟!

هل أنت قارعة الجنون؟!

فكيف جئت؟!

لا كنت يا غول السلام!

لا كنت يا رب الظلام!

ستبارك الطرقات.. لكن ليس من أجل الحقيقةْ

ستبارك الطرقات حتى يطمس الليل البهيم

شعاعةَ الخير العريقةْ

ستبارك الطرقات لكن ليس من أجلي أنا

ستبارك الطرقات من أجل المآسي والضنى

ليقوم سلطان الخنا!

لا كنت يا رب الخديعة والظلام

ولا سلمت

***

ماذا يضيرك أن يصوغ الشعب في فيتنام فجر سعادته

وعدالته

بإرادته

لم تشعل البركان فوق حياته وحضارته؟!

أتراه حين يعيش يسلب منك أنفاس الحياة؟!

أتراك سوف تموت إن لم تجترع عرق الحياة

أسمعت عن شيء كهذا في تواريخ الوحوش؟!

وحش يفاخر أنه قتل الجميع لكي يعيش!؟

حتى الوحوش إذا افترسن، فلا يتهن بما افترسن!

إني لأعجب كيف عدت..؟

متى وأين؟

في غفلة جازت علينا من ضمير العصر عدت

فلا سلمت!

قد عدت تمشي فوق يونان العريقة بالدماء

وعرفت كعب "أخيل" فاجتزت الحصار

أتراك تعرف من أخيل؟

بالطبع لا!

فأخيل هذا لم يكن لك بالعميل!

وأخيل ليس كناية عن ضربة لمخابراتك!

وبصقت فوق الأكربول..

وسحرت بالجاربنْد آلهة الأوليمب[١]

وكما مشى سقراط في سوق المدينة قد مشيت

مشيت.. لكن بالتويستْ..

أنا لست أضحك.. إن في الضحكات أيضا يكتئب قلب

المعذب

---

(١) بطل في إحدى الأساطير الإغريقية، كان خرافي القوة، ونقطة ضعفه كانت في كعبه، فسدد عدوه سهما إلى كعبه فقتله.

ها أنت ذا تمشي على هام الشيوخ.. شيوخ أثينا العصية

وتقيم في المهد الديمقراطي حكم العسكرية

ما أنت من هذا جميعا..

ما أنت من سقراط؟

سمه!

ما أنت من أوديب؟

رجمه!

***

وهناك في أرض النبي

وهناك حيث أضاءت الدنيا تعاليم العدالة والإخاء

وشريعة الحب التي تعطي الجميع على سواء

أقمت في الأرض الحرام!

- ما أنت والأرض الحرام-

أقمت في الأرض الحرام معابد "العزى" الجديدة

وثن جديد اسمه الدولار في البلد الآمن الطيب

هناك في أرض النبي

وأقمت قاعدة الضغينة والعداء

ضد انطلاقات اليمن □

ضد التحرر في عدن □

ضد التقاليد المجيدة

ضد العروبة والكرامة كيفما كانت وأين

فهناك حيث مشى الإمام علي □ الطُّهري □ في الثوب الخشن

تتأو □د الشقراء عارية البدن

ويسير أسراب الرجال معطرين مهفهفين

بلا خجل

وحيث يحتفظ الأثير

بصدى أحاديث البشير

وجلال حكمتنا الشموخ

هناك قد ركع الشيوخ

كي يعبدوا الدولار.. رب زمانهم

ومثير فتواهم إلى أسيادهم

وهناك حيث يعيش صوت رائع منذ الأزل

فوق الصحارى والصخور

يعربد الروك آند رول

ها أنت ذا قد عدت.. عدت لنا هنا

لتبارك الطرقات يا م لك الخنا

لتبارك الطرقات.. لكن ليس من أجلي أنا

وأنا هنا

وطني المعارك والحضارة والأمل

وطني هو النور الذي غمر العصور ولم يزل

وطني هو الفجر الجديد

وطني هو التاريخ والمستقبل الوضاح والزمن السعيد

وطني هو المأساة مثقلةً بما صنع التسلط والتحكم

عبر العصور

وطني هو الفلاح البسطاء صناع التقدم

والمصير

أتراك تعرفنا هنا؟!

سأقص قصتنا عليك

لعلها إن أعجبتك

رجعت عنا

ونجت عذارى أخريا ﹸتمن ضراوة شهريار

في ذلك التشبيه عار..

لكنما ما حيلتي.. وأنا أخاطب فارس العار المحنك!

قد كان ياما كان في الزمن القديم

يعيش قوم آمنون

أيامهم عمل وليلهم أمل

وصباحهم كمسائهم ورد وفل

ونساؤهم أحلى النساء

ورجالهم خير الرجال كانوا

جميعا صالحين ما كان

عندهم سلاح للقتال

غير المناجل للحصاد، وغير محراث قديم

والفئوس

كانت لديهم للنماء..

كانوا جميعا صالحين

نفوسهم أصفى النفوس عاشوا

جميعا يزرعون ويحصدون

ويمنحون الآخرين

خيرالثمار

وبيوتهم كانت من الحجر الثمين

وكبارهم حكماء.. والأطفال تحت عيونهم يتضاحكون

وعلى مروجهم البديعة يرتعون ويلعبون

ولهم جميعا آمنون

إذا بغول مقبل.. غول حزين

ألقى عصاه على مشارف أرضهم

غول حزين

تستوقد الضحكات فيه الغيظ والشو الم عذَّب للبكاءَق

وللدما ء

ويثير أمن الناس في أعماقِه روح العداء

وبكل هذا الغيظ حط الغول في سوق المدينة

يغري النساء الفاضلات

فإذا أبين قُتلن فجأة

ويكيل للسفهاء ما شاءوا من الذهب النُّضار

ليجعلوا الحكماء هزأةْ

وانقض يختطف الصغار

وإذا المدينة أصبحت ثَكلى حزينة

والخوف يعصف بالسكينة

ونشيدها الرنان يغمره عويل النائحات

وتشاور الحكماء فيما يصنعون

والحكمة الشماء تقتحم الحصون

ببعض أسرار الكلام

وإذا بهم قد قرروا أن يصهروا بعض المناجل

كي تصير إلى سيوف

وإذا بهم يتواعدون ليضربوا الغول المخيف

لم لا نقاتل؟!

فلنقاتلْ

للدفاع عن الحياة الفاضلة

هي ضربةٌ لا غير.. واحدة.. وليست غير ضربة

هي ضربة لا غير نضربها معا لتثير رعبه

فلتحرصوا لتكون ضربتنا الوحيدة قاتلة

هي ضربة ستصيب قلبه

تستجمع الضربا ُت فيها كل طاقات القصاص

وكل أحلام الخلاص

وإذا السواعد كلها قد جمعت في ساعد

وإذا السيوف وقد غدت في حد سيف واحد

فلتضربوا الغول المخيف

اضرب.. فما هي غير ضربة

وهكذا نجت المدينة

عاد الصفاء إلى النساء

عاد السلام إلى الكبار

عاد الصغار

إلى المروج يقهقهون ويرتعون ويلعبون

الضحك عاد إلى الشفاه

عاد الجميع إلى الحياة

الأمن عاد إلى القلوب

عاد الحبيب إلى الحبيب

أفهمت ما قصتي؟!

إن كنت عدت لكي تروع قريتي

فالشعب يملك ما يشاء من البواتر

***

لم يستفزك أن ترى الأطفال في الدنيا الحلية يضحكون؟

ماذا تريد من الصغار؟!

ماذا تريد من الشيوخ الآمنين؟!

ماذا تريد من النساء الوادعات!؟

أو الشباب الآمنين؟!

كم ذا تثير خيالك الهدام أشكال الدمار

أو لا تحس العار فيما أنت صانع

أسمعت في تاريخ ما صنع البرابرة الأوائل من فواجع

شيئا كفاجعة الحضارة في فلسطين السليبة!

شعب يطارد كله من أرضه ومقدساته!!

شعب بأسره!!

ويعربدون على رفاته!!

وطن النجوم سطت على أكنافه كِفُ

الظلام جاءوا طريدي التيه تدفعهم رياح

الانتقام ويحيطهم عطف البرابرة العظام

يتبجحون على الشرائع كلها.. كل الشرائع!

بلا قيم

وبرغم ميثاق الأمم

أنت الذي أقطعتهم أرض النجوم

لتعيد ما عفّى الزمان عليه من ذكرى سدوم[1]

لا لن تعيش سدوم في أرض النبوة من جديد

لو عاد داود الجليل وعنده زبر الحديد

فلكي يَذبهم عن الأرض المقدسة الحرام!

---

(١) قرية كانت تعيش في العار والجرائم.

يا حامي الظلمات يا غول الحضارة كيف جئت؟!

ماذا تكون من المنارات العظيمة للحضارة؟

قنديل زيت ليس في أحشائه قطرات زيتْ

وطني الحضارة والمنارة..

لو كنت تعرف كيف يجري النيل في صمت وقور

يقص أسرار العصور

لو كنت تعرف كيف يصطفِق الشراع

وعلى الضفاف الخالدات

الذكريات

أولو تحسُّ سكينة الإنسان في سهل البقاع

أو كنت تعرف سحر عكا والقلاع

وحدائق الزيتون في تلك السفوح الساحرةْ!

لو كنت تشعر كيف ينبض قلب خير مثقفي الدنيا بحب القاهرة !!

أعرفت زهر البرتقال؟!

أشممت عطر الأرض يوما؟!

أبلوت ليلات الوصال؟!

أسمعت موسيقى الحقول؟!

ماذا أقول؟!

أرأيت كيف يقوم من تحت التراب معذبون

ليشيدوا المستقبل السباح في وجه التحدي والخطر

ويسيطرون على القدر؟!

ماذا تريد وكيف جئتْ؟

أتريد أن يتهدم الأهرام أو تهوِي المآذن والقباب؟

أتريد تخريب الكنائس والمعابد والمساجد؟

أتريد إفناء الذي يعتده المتحضرون..

إرث الحضارة والفنون؟!

أتريد هدم الأزهر المعمور وهو منارة عبر القرون؟

أتريد ضرب السد معجزة[1] الزمان وآية الأحرار والعزم العتيد؟

أتريد إفناء المعابد في "أبي سمبل" وإطفاء المنارة؟!

---

[1] السد العالي.

أتريد إشعار الحريق ودفع عالمنا إلى جوف الأتون؟!

أتريد ذبح الناس كلهم لتحيا أنت وحدك؟!

يا أيّها المتحضرون:

تضامنوا وتكتلوا كي تدفعوا عن عصرنا المسكين عاره

ولتنقذوا ميراثنا البشري من طغيان هذا البربري

أنا لا أريد لناطحات السحاب في (نيويورك) أن تهوِي
على سكانهن

أنا لا أريد لفاتنات الجنس في هوليوود أن يصبحن شيئا
غير ما يخترن هن

أنا لست أعرف ما التشاتشا والمارينجي والتويست[1]

إني لأكرهها جميعا لو عرفت كما كرهتك أنا

لست أعرف غير درويش وبيتهوفن وفاجنر

وابن إسحاق وليست

مع كل ذلك، فلتعشْ بطريقتك

كل امرئ وطريقته

---

[1] رقصات أمريكية.

ودع الحياة تسير.. لكل غايته

أم أنت تهوى أن تعيش بلا شريك ولا حساب؟!

ستعيش في الأرض الخراب

إن شئت من فوق السحاب

لا.. لا.. فإن ضمير هذا العصر سوف يحاصرك

لتصير إنسانًا تكفر عن خطايا حاضرك

فإذا أتيت كما أتى الغول القديم إلى المدينة

إن جئت تجتاح السكينة

فهناك آلاف البواتر

وبعد

ماذا في الختام؟

قد كدت أُقرئُك السلام

كعادة البسطاء في أرض السلام

إن جئت تسعى للسلام

فلك السلام. مع الختام

فإذا أتيت بكل أهوال الحريق.. وكل غاشية الظلام

فلا سلام..

ولا سلمت

أنا لست أقرئُك السلام

فلا سلام ، ، ،

سنة ١٩٦٧

من يومي لأمسي!

غلم يومي بسحابات دموعي
ضاع لحني في خرابات ضلوعي
خفقت في النفس أشباح شموعي
هكذا تقبل أعياد الربيع..

فإذا في العمق من أغوار نفسي
شارد يهرب من يومي لأمسي!!

يا رفاقي هذه صحوة عمري
أرهقتها ذكرى تزحم فكري
الصبا، والحب، والنعمى لغيري
واللبانات يدمدمن بصدري

نضب الخمر، فهل أحطم كأسي؟
آه من نفسي وما يعتاد نفسي!

آه من نفسي التي فاضت حنينا!
آه من قلبي الذي ضج فتونا!
لم أزل أنفق أيامي حزينا

ورفيف الغيب ينسال أنينا..

يا رفاقي أين إشراقة أمسي؟!
آه من نفسي وما يعتاد نفسي!

هي ذي الآمال تنوي في يديا
وغروري يملأ النفس دويا
باطلٌ هذا الذي زيف عليا..
أأنا حي؟! أنا أزعم حيا

وهمود الموت قد مال برأسي
آه من نفسي وما يعتاد نفسي!!

تلك أيام جلاد
ونضال وأنا ألتاث في
وادي الظلال الأفاعي
يتنافثن حيالي
يا رفاقي أنا المجروح الخيال..

فاتركوني لسحاباتي وهمسي
آه من نفسي وما يعتاد نفسي!

اتركوني أتغنى الذكريات
إنها لم تك إلا حيوات
غِبن في النسيان.. في الأرض الموات
اتركوني لنديم وفتاة..

اتركوني لصباباتي وحبي..
وحنين هامس يف أعم قلبي
ودموع يتجدمن بهدبي
وفتاة تنفث السحر بلبي

يارفاقي هي تبكي فارحموها
ودعوني لهواها.. ودعوها
لا وآلامي التي لم تقدروها
وانطلاقاتي التي لم تعرفوها

لا تسيروا وحدكم؛ أهلك بيأسي
إنكم نفسي.. فهل أزهق نفسي!؟

أنت تبكين؟! لقد ريع نشيدي!
أنا لا أقوى على حزن جديد
فدعي اللوعة من حزن بعيد
واحلمي لي بغدٍ عذب سعيد

فالليالي بعدما تُوجِع تنسي..
إن هذا بعض ما علمت نفسي..!

سنة ٩٤٩١

أنا وأنت

لن تنعمي بالعيش من بعدي وقد حطمت حبي

أنت الجنون العذب يعصف كل آونة لُبِّي

وركاب عمرك سوف يبقى الدهر معقودا بركبي

أنت الهوى ذو السم قد دبت عقاربه بقلبي.

***

من ذلك التعس الذي أقصاك يا دنياي عني؟!

وهواك في أعماق إيماني وفي خطوات ظني؟!

والبهجة الكبرى التي بزغت على ظلمات حزني؟!

من ذا الذي أغراك بي فنفِرت من حلمي ومني؟

***

عجبًا لقلبك وهو نبع الطهر يخفِق بالعداء؟! ولأنت أنقى من عرفت من الرجال على السواء وحياتك البيضاء تنهل من ينابيع الصفاء والرقة العذراء رقَّت منك في وهج الحياء فإذا نطقت سمعت رجعا من تسابيح السماء وإذا سكت شدا سكوتك

مثل أصوات المساء

وإذا بكيـــت فكـــل مـــا فـــي هـــذه الـــدنيا بكـــاء

وإذا ضحكت أضـاءت الـدنيا ةُ الضـياء

ســـي

وأنارت الآمال أعمـاقي وغـــرد لــي الرجـاء!

فتفـــيء ظلـــي الظليـــل مـــن المحبـــة والنقـــاء سنة

١٩٤٦

توبة..

إن يكن حبك لـي قلبـا، فـإني قـد عصـرته!
أو يكن فـي الـدم كـل الـدم منّـي؛ لسفحته
أو يكن في العقـل كـل العقـل منـي لانتزعتـه
أو يكـن شـريان أيـامي، فـإني قـد قطعتـه

***

أنـت يـا ذاهبـة العقـل أصـاحبت سـواي؟!
من تكـونين؟ ومـا يـدريك مـا عمـق هـواي
أيهـا التمثـال مـن طُهـر أقامتـه يـداي
أيهـا النـور الـذي قـد خيلتـه مقلتـاي
لـم يهتـز علـى ثغـرك شـوق لا يبـين..
وبعينيـك شـرود كسـبوح العاشـقين؟!
آه لـو تـدرين يـا سـمراء مـاذا تصـنعين!!
هـذه الوحشـية الكبـرى التـي تقتـرفين!
كـل يـوم كلمـا ألقـاك تشـقيني الظنـون
إن يومـا لـن تكـوني لـي فيـه لـن يكـون!

***

أنت يا من جعلت دنياي معنى من جحيم

أنت يا من ملأت قلبي وعقلي بالسموم

إنما حبك هم في فؤادي، وقد كتمته

وجنون ضج في عقلي، ولكني عشقته!

ولهيب يحرق الصدر، ولكني احتويته

أنت حلم من دمي، من نور أيامي صنعته

أنت تمثال من الشعر، ومن دمعي صغته

***

أنت إشراقي وإشعاعك من نار ضلوعي.

وتمنيت لو أني عشت أيامي بقربك..

ومضينا في زحام الناس نبني ونشيد..

وصنعنا الثورة الكبرى لتحرير العبيد

نتهادى تحت قيظ الشمس لا نحفل شيئًا

ونعاني في الكفاح الصلب لفحا عبقريا..

ثم نهتز كما يهتز إعصار الحياة..

فإذا بالظلم يندك وينهار الطغاة..

آه يا سمراء لو كنت كما كنت أظن!..

غير أني عشتُ لا أُقْصِى ولا دلمي يدنو!

فـدعيني، إنما أنت خيال قد نسجته

أنت حلم من دمي نور أيام صنعته!

سنة ٧٤٩١

يا حلم حياتي..!

أنـــا يـــا ســـمراءُ أهـــواك وأهـــوى ســـبحاتك..
أنت يـا حلـم حيـاتي.. ليتنـي حلـم حياتـك!

***

أنا يـا سـمراء فـي دنيـا كـاللون الغريـب
ذبلـــت زهـــرة أيـــامي.. وأحلامـــي تـــذوب
وخبت إشـراقتي الأولـى علـى جـنح المغيـب
ذاهـــلٌ كـــالنغم البـــاكي بإحـــدى أمســـياتك
آه يـــا حلـــم حيـــاتي.. ليتنـــي حلـــم حياتـــك!

***

أنـــا ذا يـــا حلـــوتي الســـمراء ركـــنٌ يتـــداعى
فوق تيه من براري الموت ينثـال ضـياعا
شـلَّت الـدنيا بـه عطـرًا، ولحنـا، وشـعاعا
غير نور الضـحكة البيضـاء تغشـى قسـماتِك
رحبـــةٌ يملؤهـــا الســـحر.. كـــأحلام حياتِـــك

***

يا ابنة الوهم التـي تنسـاب منـي فـي دمـائي
عذبـة تخطـر فـي ظنـي دلم لـبالصـفاء
أترى ألقـي علـى أمنـك ظـلا مـن شـقائي؟
لا وعينيـك! وفـي عينيـك خفـق ٌمـن حيـاء
وسبوح في مرائـي الغيـب يضـني خـَطـَراتـك
وبريـق راقـص شـع بـأحلام حياتـك

***

وبأعماقـك أنغـام كأصـوات الخفـاء
وتسـابيح غمغمـن بأسـرار المسـاء
واختلاجـات صـباك الحـالم الضـاحك تشـدو
فـي سـهول كخيـالات الصـبا ليسـت تـُحـد..
وعليهـا فـارس الأحـلام، بـالأحلام يعـدو
وأنا..؟ ويحي.. تراني لـم أعـد أصـلح بعـد؟!

***

كلمـا لاحـت لـي الـدنيا نعيمـا فابتسـمت..
ومروج طلقـةَ الأفيـاء نشـوى فانطلقـت
لهثـت أنفاسـي الحـرى دراكـا وسـعلت
ثـم دارت منـي الـرأس- كـلالا.. فجلسـت

وتذكرت الذي أرجوه من هذا الوجود
والذي أهدم من نفسي.. وأبني من جديد
والنضال القاسي المر لتحرير العبيد..
فطريقي كله شوك، وصخر وقيود..

***

وسدود كلما حطمتها قامت سدود
وضياء العالم المنشود يبدو من بعيد..
كنسيم الوطن الموعود للنائي الطريد
كرمال الشاطئ الغائب للموج الشريد

***

عجبا.. هل لم أعد أصلح إلا للهموم؟!
كل ما في عمري الزاهر رعد وغيوم
لم أعد أنفق أيامي أغني وأهيم..
إنني أشقَى.. ومن حولي مسوخ من النعيم!

***

إنني أشقَى.. ولكن من أنا في الأشقياء؟!
إن لي في بعض أحلامي ظلالا من عزاء!

أُتــرى يحلــم محرومــون مــن قــوت ومــاء؟!
ولكـمـزيـف علـيهم، أنـّــهـحكـمـالقضـلـء؟!

***

ثم.. إن أضننتك يـا سـمراء أصـواتي الغريبـة
فاعـــذريها.. إنهـــا زفـــرة أيـــام كئيبـــة
وانتحابـــات فـــؤاد قـــد ُتـــداوين ندوبـــه
لــــم يـــزل بعـــد معانـــاة لياليـــه الكئيبـــة..
ناصعا مثل الشـعاع القـُـدس مـن نـهـر حياتـك
إنـــه يهــو اك يـــا ســـمراء.. يهــو ى ســـبحاتك
آه يا حلـم حيـاتي.. مـن تـُـرى حلـم حياتـك
عجبا.. هل صرت أشباح خطايا فـي صـلاتك؟!
أم نشـــيدا بربـــوي اللحـــن يضـــني أســـيلتك
وشدا مـن روعـة المجهـول يغشـَـى قسـماتك
أما أنا يـا أنـت معنـى حـائر فـي خطراتـك

***

أنـــا يـــا ســـمراء أهـــواك.. وأهـــو ى سبحاتك
أنت يـا حلـم حيـاتي.. ليتنـي حلـم حياتـك!

سنة ١٤٩١

يوم السودان!

"أُلقيت في الحفلة التي أقامتها جبهة هيئات الموظفين العامة في جزيرة الشاي؛ احتفالا بالوفد السوداني في يوم السودان صيف سنة ٦٤٩١"

يـــو مستمضـــي بعــــده الأيــــلم..

حمــــراء، وهــو نضــــارة وســــلام

يوم من الشـهداء مـذعور الــروَى

بالــــذكريات.. وثغـــــره بســـــام

يوم من الأحـرار مختنـ ُقالصـدى

وغــــدا تـُــــودد رجعــــه الآكــــلم

يوم من السودان يعلـن فــي الـو ى

أن الحيــــاة علـــــى الـــذليل حـــــرام

هو يـوم ينـتفض الأسير محطمـــا

أصــــفا ه.. فتصــــحح الأحكـــام

فلـــــيعلم المحتـــل أن ضــــيلغما

هوجل. بوادي النيل ليس تتنلم

هي ذي الطليعة من بنيه تدافعت

تحدو لها الآمال والآلام

جاءت مجنحة اللهيب.. ثيرة

أهل الشمال.. وفي الشمال ضرام

فلتطلق البركان من غضبتها

فلطالما شكم النجيت خطام

ماذا..!؟أيمنعنا الشكاةَ وهذه

جنبا تضبت بها الأسقام

وعلى الضفاف الزاهرات نوائح

وعلى الوجوه الضاحكات قتام

وبكل ثغر لعنة صخَّابةٌ

وبكل قلب زفرة سام

وبكل عين دمعة مخنوقة

قد جاوبتها في الضلوع سجام

وبكل دار من يديه جريمة

وبكل حلق من شجاه عظلم

والكادحون طعامهم ماء الضنَى

أرأيتم أن الدموع طعام

نسجوا كسى الدنيا بخيط شبابهم

وهمو بمدرجة العراء نمام

يا أيها المحتال أنت أسمتنا..

هذا.. وسوف نريك كيف تُسلم

أنت الذي استنزفت ماء حياتنا

ليكون منه على صبلك قسلم..

ما زلت منذ وطئت رفرف أرضنا

تلوي العهود لديك والأقسام..

يا أهل وادي النيل.. إن حوادثا

تطغَى وفوق الضفتين خصام

فبما تثيرون الخصومة مرة

والنيل في القيد العتيق يضام

لا ترسلوها فتنة مشئومة

جروح الأخوة قلما يلتام

أو ما لشقينا من عدوٍ واحد

تشقى به الآجام والأهرام؟!

يمشي على الخرطوم عربيد الخطى

وله هنا فوق الضفاف عوام

لا ترهقوا غدكم بوهمٍ جامح

فطالما عبثت بنا الأوهام!

اليوم وحدنا الكفاح وفي غد

ستسير في طاعتنا الأيام

ما شاءه الشعب الأبي فإنه

حتم.. فلا نقض ولا إبرام!

هي وحدة القيد العنيف يسومنا

ويسوسنا.. فكأننا أنعام!

هي وحدة الألم المرير مخضبا

بدم الضحايا.. والدماء ذمام!

هي وحدة الأيتام في خرباتهم

أرأيت كيف يوحد الأيتام!

هي وحدة الأحرار في ضرباتهم

أعلمت كيف تحطم الأصنام؟

هي وحدة الجيل الذي يبنى غدا

حرا.. **له** أسس الإخاء دعائم

آليت بالأمل المرقرق كالضحى

بالنور يطلعه **الغد البسام**

بحلاوة **الدنيا التي** ستحيلها

زهرا تسلسل عطره الأنسام

بملاحم الأحرار تقطر بالدما

بالنيل تخطر حوله الأحلام

بالهول، بالدم، بالضحايا باللظى

لنعلمن الذئب كيف يسام

سنة ١٩٤٦

أغنية للمستقبل

لوجودي فوق أرض الناس معنى قد عرفته

غير أني ها هنا في ظلمة السجن عبدته ..

ومثالي في الوجود الحر من دمعي صنعته

***

ها هنا تنتفض الأحداث في كون صغيــر ها

هنا، ترتعش الأحلام في صمت القبور

وهنا موكب أحرار على الشوك يسيــر..

***

احشدوا الأحرار في السجن وغالوا في العذاب

واكذبوا ماشئتمو اليوم.. فكلٌّ بحساب

وادفعوا في غمرة اليأس انقلابا بانقلاب

لم تعودوا بعد إلا صفحات من كتاب!

وستطْوى!

***

نحن للشعب وبالشعب اندفعنا! هل نبالي؟

إننا نبني وجودا.. كتهاويل الخيال

عاطر الأرجاء وضاحا كأيام الوصال

***

فمتى يهدأ ذو شوق معنى بهواه؟!

عاشق شاقته في السجن أناشيد الحياة

ومضى يحلم في السجن بأيام صباه..!

الليالي كلما مرت تغني ذكرياته

وتمنى لو طوى الليل إلى صدر فتاته

كلما رنحه القيد تناهى في صلاته

صلوات لك، للحب، لأحلام حياته!

***

لم يعد من ذلك العهد سوى وهم التمني

وبقايا ذكريات يتسكن بسجني

ذكريات أنا منها.. من سداها وهي مني!

غير أني ذات يوم سوف ألقى ما حرمته

وسأحيا كل أحلامي.. وما كنت اشتهيته

وسأحيا رغد الحب الذي بالأمس ذقته

وأعيد الضرب في الصخر الذي كنت ألنته

والنضال الدامي الصلب الذي كنت بدأته

سجن الأجانب سنة ٦٤٩١

سمراء

سمراء يا حبي

يا نسمة الغيب..يا

رقَّة العشب

يضحك في سهل

م ستمر ح الطلّ

***

يا همسة النجو ى

أيامنا نشوى..

فكيف لا نهوى

وأنت في وعيي

كالماء في الرمل

***

يا شدوة س كر ى

رنَّت لنا فجرا

أو اه يا سمرا!!

كأن إنسانا

لم يهو [illegible] من قبلي!

***

إنا صبابات

تهفو، وأوقات

تحلو، وهمات..

تنزو.. فهل نبقي

في صمتنا نخلي؟!

***

قُومي احطِمي السجنا

وأسعدي الم[illegible]ضنَى

امضي بنا..   إنا

حـ[illegible]ر[illegible]ان، لا نرضى

بالقيد والذل

***

سمراء! سمراء

بيد ولا ماء..!

تيه وظلماء

والماء في القلب

والنور في العقل!

***

حب وحرمان

صيد.وعبدان

ظل.. ونيران

ونسمة تسري

كنفثة السل!

***

صخر، وتيا□ر!

سجن، وأحرار □!

وهم □ إذا ثاروا..

كانوا على الدنيا

إرادة العدل

***

لا تبعدي عني

سمراء يا أمني

فضجة البين

تكاد من حولك

تعوِي.. ومن حولي!

***

من حولنا قوة

غريرة النشوة

تملي لنا هوة

وترتجي مثلك

الصيد، أو مثلي!

***

كم ذا لنا أعداء

قلوبهم صماء

فحسبنا سمراء

ولننعم الآن..

بالماء والظل

***

سمراء يا حبي

يا بسمة الغيب..

يا رقة العشب

يضحك في سهل

مستمرح الطلِّ!

سنة ١٩٤٤

حياة..!

الضياع الرهيب والخربات والنواح المشئوم واللعنا ُت
والجحيم الذي يدمدم، والأشباح، والجوع، والضنى، والموا ُت
والضياء الذي يسيل من العين دموعا تزفها ضحكات
اللظى، والجنون والكسف الحمراء، والعار والمـَنى الذاهباتُ..
واصطخاب الأمواج في ظلمات، عاتيات تلفها ظلمات
والسهام التي تمزق في الصدر فتشدو جراح□ه الداميات!
تلك يا سائلي الحياة بمصر.. وهي يا سائلي العزيز حياة!

سنة ٦٤٩١

ضجة الربيع

(دقت نواقيس المساء حزينـة تنعـي النهــار)
فجرى الأصيل مروع الخطوات مجنون الفـرا ر
وتركت - والأفق الحزين يلفه - طفل الغبــار
والوحــدة الخرســاء تسـلمني لآلام ضــوار
ونســيج أحــلام ممزقــة أعاصــير
اكــار

***

وتراكضت قطع السحاب كسرب أوهـام بديــدة
دكناء يطردها الظلام كبعض آمـالي الشـريدة
وسمعت ريح الليل تحمل صوت أرجـاء بعيـدة
لكأنمــا همسـاتها أصــداء أيــامي الســعيدة
أم أن ريح الليل تحمل لـي صـبابات جديـدة!

***

ولمحت صاحبتي الحزينـة كالنهـار الغـارب
وقفت مرنَّحة الخيـال علـى الضـياء الـذاهب
عجفاء كالشجر المصوح.. كالمسـاء الشـاحب

دب المشيب بها.. فلاذت بالشباب الهارب
كتألق الأفق الحزين بنور فجر كاذب

***

تجري.. فيقعدها العسال.. فتستريح إلى الدموع
وإذا انثنت طربا كسالف عهدها.. لا تستطيع
النزوة الهوجاء تشعلها.. فيطفئها الصقيع
لم تبقَ غير أواخر الخفقات في جهد الشموع!
ج

***

وفجأة ضج الفضاء وصاح في الدنيا نذير
واصطكت الريح الرخاء، وثار في الحقل الغدير
وكأن في كبد السماء لواعجا حسرى الزفير
عوت الذئاب كأنما جنَّت.. ودمدمت النسور
عجبا له ليل عميق الفكر.. ملتهب الشعور!

***

وإذا الشجيرات الذوابل ينتفضن مزمجرات
وإذا بروح تمرد تجتاح صمت الكائنات
لكأنما اندفعت عصارات الحياة إلى الموات

ويحي.. هل انبعثت من الصمت المقدس ذكرياتي؟!

كالمنبع المهجور منبثق المياه على فلاة!

***

كالمزهر المحطوم ترسل فيه أنغام خفية

كالرغبة الحمراء في أعراق راهبة فتية!

كطهارة العذراء في خطرات غانية تقية!

كمدينة ذهبية الجدران في أحلام قرية!

كالقوت تبسطه لعيَني جائع كفٌّ عصية!

***

يا ذكريات الأمس.. قَري في غيابات السكون

قد عاود الليل الخشوع.. وغيم الصمت الحزين

لا صوت إلا أنه الفلاح من ظلم السنين

وتناوح الطير المشرد بعد تمزيق الغصون

الزعزع النكباء قد بعدت عن البلد الأمين!

نُشرت بمجلة الرسالة ٨٢ مايو سنة ٥٤٩١

حب مكتوم!

أتراهـــا إذا دعــوت مجيبـــة؟

أم عســاها تصـــد تلــك الحبيبـــة؟!

وهي تنساب كالليونـة.. كالصـفو

كخمـــــر عتيقـــــة مســــــكوبة

عذبـــة لا تكـــاد تبصـــر منهـــا

غيـــر آيـــات رقـــة وعذوبـــة

هدأت كالمنـام مـن تحتـه الأحـلام

فـــي ضـــجة الحيـــاة الصـــخيبة

هي كـالثورة العنيفـة فـي الـنفس

تراهـــا علـــى الملامـــح طيبـــة

لا.. وحـــب لهـــا حملـــت جـــواه

وتكتمـــــت شـــــجوه ونحيبـــــه

لا وحســـن لهـــا صـــموت

حـــزين جـــلَّ فـــي الـــنفس كالمعـــاني الرهيبـــة

لا وأيـــامي الخـــواء الثكـــالَى

لا وليلاتـــي الخـــراب الكئيبـــة

والطريــق الــذي يؤلــف منــا..

كتلــــــة عبقريـــــة مرهوبـــــة

لا وجهدي في حطْـم تلـك الأعـالي

شـــــامخات كــــالهق المخضـــوبة

أنا أهواك يــا مليحـــةُ لكـن حـبس

القلـــب فـــي الضـــلوع وجيبـــه

ثورة السودان

كفى!.. أشعلوها إنها الثورة الكبرى

دما بدم ينصب في غير ما مجرى

لعل زفيرا من لظاها مباركا

يؤجج في أعماقنا الثورة الحيرى

أغضى وما يهتز في جنباتنا

سوى اللهفة الشلاء والأنَّة الحسرى!

نجوع وكلتا الجنتين وريفةٌ

ونحن جعلنا من خلالهما نهرا!

كفى حزنا إنا أسارى مجاعة

وغائلنا يهتز من تخمة كبرا

بنينا له قصرا من المجد باذخًا

فلما طوانا الذكر لم نجد القبرا

نجوع ونعرى حيثما الخصب ممرع

أليس بعار أن نجوع وأن نعرى؟!

له ضحكات عربدت في صدورنا

ونحن نرود البِشْر بالزفرة الحرى

***

حلمنا ولم يحُلم، فلما تبينت..

حقائقُ ما كنا عليه وما أجرى

إذا نحن في الوادي نواكب حية

تمطت، فلم تترك لأصحابه شبرا

أقاموا لها المحراب؛ فهي إلهة

وكم راهبٍ صلَّى لها، وبنى ديرا!

***

كفى! أشعلوها إنها الثورة الكبرى

تجاوبها في مصر ميمونة أخرى

ألا فلتكن فيضًا من النور طاغيا

تطير خفافيش الظلام له ذعرا

ألا فلتكن سفرا من المجد خالدا

وكـل شـهيد فـي صـحائفه سـطرا

فثوروا، وثوروا، ثم ثوروا، وفي غـد

سنبكي على الموتى ونشدو على الـذكرى

وثوروا، وثوروا، ثم ثوروا وفي غــدٍ

سـنبني علـى أطلالهـا عالمـا حـرا

يعــيش بـــه الإنسـان لا متمزقــا

ولا غارسـا حلـوا ليجنيـه مـرا

ولا مستباحا ينهش البغـي عرضـه

وترهقـه الديـان من أمـره عسـرا

يرفُّ عليه الأمن والعدل والغنـى

ويـنعم لا منًّـا عليـه وكفـرا

***

يا أخي سعدا[١]

يا أخي سعد والإخاء قليل

والمودات سكرة وتزول

والهدوء الذي يرجى من العيش

صياح وضجة وطبول

والصفاء الذي بقلبي نحيب

والنشيد الذي أغنِّي عويل

الترانيم في فؤادي صروع

مِزهري عاطل فكيف أقول؟!

يا أخي سعد أنت أدرى بما ألقاه

من نهش كربة لا تزول!

يا أخي سعد آه مما ألاقي

من تباريح غربة واشتياق!

---

(١) سعد لبيب.

ذكريـات مـن الليـالي المواضـي

يتصـعلكن فـي الليـالي البـواقي

وظنـون مشـردات تسـاقطن

كعصـف الخريـف بـالأوراق

مات عني الأخ[1] الذي كان ذخري

وشـعاع الآمـال فـي الأعمـاق

وأنـا بعـده كوجمـة حـزن

صـبها البـؤس فـوق وجـه الفـراق

***

سـرت يـاسـعد بعـده

أتسـلّى والليـالي تنصـب فـوقي ويـلا

أتسـلى؟! وكيـف كيـف التسـلي..

---

(1) محمد صبري: ابن عم وخالة مات سنة ١٤٩١ في السادسة عشرةَ من عمره بعد حصوله على شهادة الثقافة من مدرسة بنبا قادن الثانوية. وكان في منزلة الشقيق التوأم. وقد فقدت جميع ما كتبته في رثائه حتى صيف سنة ٥٤٩١. موعد تاريخ القصيدة.

والحبيب الوحيد يا سعد ولّى!؟

أتسلى؟! وهل تدل ماجد

بعد ما حم نأيه فاستقلا

مضحكات زيفتهن على القلب..

لكيلا ينشق حزننا فملا

ومضى يرقب التراب كسيرا

إن تحت التراب من عز مثلا

يا أخي سعد أنت أدرى بدائي

لا تلمني إذا تغيض مائي

إيه يا من أرهقته بشكاتي

وأحاديث وحدتي وشقائي

إن حملي من الحياة هموم

وملسٍ وأنت أنت عزائي

لا تلُمني؛ فأنت وحدك من أشـ

ـكو همي وشقوتي وبلائي

إن فـــي صـــدرك الرحيـــب ظـــلالا

تحتهـــا أســـتريح مـــن أعبـــائي

ولتحـــت التـــراب منـــي حيـــاةٌ

وأمـــانٍ صـــغيرةٌ رائعـــات

وصـــبا رفَّ كالضـــحى ذات يـــوم

ودهتـــه علـــى الصـــبا الظلمـــات

قـــد تبَقَّـــتْ مـــن بعـــده أحـــزان

وثيـــاب الحـــداد، والـــذكريا تُ

ذكريـــات يشـــقين منـــه، وقـــد كـــا

ن نعيمـــا تشـــدو عليـــه الحيـــاةُ

لهف نفسي عليه في المضجع النـا

ئـــي وحيـــدا تحفُّـــه الحســـراتُ

***

يا أخي سعد هل قسو تُعليك

إذ نثـــرت الأحـــزان بـــين يـــديك؟

كم جحيم معربد لم أُطِقه

فقسمت للظى العتي عليك!

ربما آدنى الزمان بنجوى

فسكبتُ النجوى على أذنيك

ليس يعني سواي أني حزين

غير أني شكوت بثّي إليك

فصن الدمع لا تلمني عليه

وكفاني أني بكيت لديك!

***

أنا من بعده بقايا

غريب ليس لي بين إخوتي من حبيب

أتهاوى على الحياة كجنح الضـ

ضوء يهتز في الغروب..! مهاوي

وأدوي كعاصف روعته.

وحشةُ التيه واصطخاب الغيوب

كالظلام المرعوش.. كالذِّكرَ الخرساء. كالذعر.. كاختناق النحيب
كالحديث الحزين.. كالأمل المجنون – كالإثم في خفايا الجذُوبِ!

***

ليس لي بين إخوتي من صديق

إن أحلَى الوداد ودّ الشقيق

إخوتي؟! إخوتي الأعزاء قاموا

في طريقي يعرقلون طريقي

إخوتي يحفُرون قبري ولما

أبلغْ الشأو من شبابي الوريق

خنقوني بيأسهم من جهادي

فلكي الله في الغد المخنوقِ

كاد أن يعصف الجنون بعقلي

كيف يذوونني غداة شروقي؟

***

كلهم ساخط وهيهات يرضى!

وأنا بعد لست أطعم غمضا

ليتني كنت قد خلقت وحيدا

فلقد كنت حينذاك أمضى..

لا.. فيا ويح ما أقول؟ أراهم

ملئوا قلبي الممزق بغضا!

وأنا تحت يأسهم أتلوى..

كجدار يريد أن ينقضا!

***

كدت يا سعد أن أجن فدعني

أو تدري ماذا يقولون عني!!

صقَّر الشؤم في فؤاد ربابات

سمائي وضج بي سرب أمني..

آه لو يعلمون من حطموه

بالملام العقيم أو بالتجني!!

قسما بالشباب.. بالهمة الشماء.. بالشر.. بالجنون المغني

باللجحيم الذي يؤج برأسي..

بالضـــياء الـــــذي يفـــارق عينـ ـــي[1]

بـــللكلام الممجـــوج قـــد لفقـــوه

بالعتـــاب المحمـــوم يـــوقر أذنـــي

قسما بالملال منهم.. وباليأس.. بالأسى.. بالأسى المستكن

قسما بالحياة.. بالموت.. بالشجى.. بالجوى.. بالتمنِّي

لـــم تكـــن تبلـــغ الحـــوادث منـــي

بعـــض مـــا يبلغونـــه اليـــوم منـــي

فأنـــا الآن ميـــت حيـــث كـــانوا

وهم - حيث كنـت - ضـعفي وجبنـي

وأنـــا الأيـــد القـوي كمـــا تـــدري

ويـــدري ســـواه أنـــي.. وأنـــي..

إن أكن قد هدمت أمسـي ويـومي

فلأنـــي غـــدا ســـأبني وأبنـــي!

---

(1) وهو ما لم يحدث، يشير إلى إنذار طبيب العيون أنه سيفقد بصره بعد عام.

النور البعيد

شاعرٌ تزحم نفسه آلام؛ فهو يجلس منكَّس الرأس، يحمل هموم سنيه الذواهب! مُعنًّى يضنيه الشوق إلى المجهول والقلق على غده.. عرف آلام الموت والحب، وظمأ المعرفة، وهموم الحرمان، وأحلام المجد.. قابل فتاة من نساء السوق، تحمل في قلبها مأساة، وفي عينيها بريقًا، وتصنع لنفسها مسرات تنسيها أمسها الداكن.

"الشاعر لم يعرف من الحياة غير آلام الروح السابحة والفكر المجرد.. أما هي فقد بلَت هموم السوق، وأهوال وعذاب المرض والجوع! وفي لقاء بينهما، يجلس الشاعر شاردًا محزونا، مستسلما لآلامه، ومخاوفه.. وتحاول هي أن تسرِّي عنه، وتُهوِّن عليه، فتحدثه عن الحياة، والموت، وعن نفسه".

***

هي : أيّ سجن من ظلام اليأس تقضي فيه عمرك؟!

قم فطِر في موكب الدنيا، فما أعبقَ عطرك!

وانتفض من رقدة الحزن التي تطفئ جمرك

واصطنعني أكن النور الذي يشرح صدرك

وأكن وحي أغانيك التي ترفع ذكرك

***

لك رأس نفخت فيه رياح العبقرية..

وفم تنساب منه النغمات القدسية.

والغد المرموق يدعوك ويعتد التحية

إن يمناك على ما بك ما زالت فتية

ما الذي يضنيك من زيف الحياة القاهرية

***

هو : من تكونين وقد أطلعتِ في ليل شقائي..

شعلةً تسطع في يأسي بورد الرجاء

نجمةً تملأ بالآمال أرضي وسمائي

وتناديني إلى قمة مجد وعلاء

فأرى في غيهب المجهول أعلام الضياء؟!

من تكونين وقد أشـــرقتِ فــي ظلمــة حزنــي
ومسحت الدمع إن أبقى الردى دمعا بعينــي؟!
آهِ لو تـدرين كـم ذا تنـزع الأقــدار منــي!
آه لو تدرين من أبكـي، فقـد تبكين عنــي!
كادت اللوعة أن تهدر حزني.. غيـر أنــي..!

***

هي : أي حزن ضج في قلبك – فاستنزى العيـون!
ج
فيم هذا الحزن واللوعـة، والنعمى ديـون؟..
ليس ما نأمل، بل مـا شـاء ربان السـفين..
لا تنُح بعد؛ فـأمر كـان يومـا لـن يكـون!
فلتقف في زحمة الأحـداث مرفـوع الجبـين
ج

*** فاضرب فــي
قم فخذ معولك الأكبر
الطريـق
اضرب الصــخر لتسـتمتع بالسـير الطليـقْ
إن هــذا المعــول الأكبــر بالصــخر خليــق

فاحتمل في سـعة المطلـب أهـوال المضـيق

إنما تنشد قرص الشمس فاصبر للحريق!

***

هو : كنت من قبلك منبوذا أغني ذكرياتي
هائما كالريح لا أعقل إلا صبواتي
فإذا ما راعني وجهك في بيد حياتي
سلسلت وقدة أيامي ندي النسمات..
وزها في معبدي المهجور إرنان صلاتي

***

آه من أنت وفي عينيك أطياف حيارى..
هائما يسبدن في التيه كأحلام العذارى
يلتثن في الغيب كأوهام السكارى
ولقد
فإذا راعني بالغابر يستوقدن نارا
إن في ومضة عينيك لأهوالا كبارا
ج

***

إن في عينيك ما ينبئ عن سر رهيب
ومن الأعين ما يفضح أسرار القلوب

أتراهـــا قســـوة الأحـــداث أم هجـــر حبيـــب؟

أم عساها أنَّةٌ اليوم على الأمس القريب؟
أم هو الذعر الذي يرعش أشباح الغروب؟
ج

***

هي : بل شرود الضائع المهزوم في الحرب العوان
وهي الأحلام بالعزة في نوم الهوان
وهي العار الذي يمرح في تيه زماني!
ومهاوي الذل في سعي الفقيرات الحسان!
باعني الجوع إلى الشيطان يوما فاعتراني!!

***

هو : قد عرفت الدهر هولين: حِماما وغراما
وعرفت الحزن فيها من ظلام يترامى.
ظلمات من دجى الأهوال ترفض ظلاما
فانفثي كربتك الحرى وإن كانت ضِراما
ج

***

هي : أيها الشاعر ما أنت وأهوال زماني؟
انطوى الأمس فخذ نايك واهتف بالأغاني

انطلق في سبحة الـروح إلــى غيـر مكـان

أنت في إشعاعة الطهر وإشراق المعاني
وأنا في ظلمة السوق، وفي معنى كياني

***

ج
إن في طهرك ما ذكرني طهر الصبا
حين كان العيش أحلاما وزهرا وربا..
حين كانت كل دنيلي ربيعا معشبا
غير أن القبس الحاني في قلبي خبا
فاتخذت الليل لي دارا وأما وأبا..

***

أيها النابش في أمسي، أما تترك أمسي؟
ربما لطخك الطين الذي يطمس رمسي!!
آه منها هذه الذكرى التي تشعل رأسي
كانت النكبة يا شاعر في ليلة عرسي
غبت عن نفسي، وحتى اليوم لا أعرف نفسي!
ج

***

فامش لا تهوِ إلى سري؛ ففي الأوحال سري!
إنني أثأر من نفسي، وما أبشع ثأري!

إنني أنزل عن جسمي لمن يملك أجري
آه لو أشرح..

هو (صارخا).... كفّي! دبت النار بصدري!

(لنفسه) : ويحها تهلك في نيران لذات وخمر
إن فيما أسمع الآن لهول القارعة

هي (باكية): هو ذا ماضي منشور فهل تحيا معه؟!

هو : اسكتي! لن تصلح الدنيا عيون دامعة
واضرعي؛ قد يرحم الله النفوس الضارعة

(لنفسه) : آه لو أسحق هاتيك الذئاب الجائعة!

هي (مستمرة): إنني أنزل عن عمري إلى تجار لحمي..
ويدب الموت في جسمي ولا أرحم جسمي
ثم إني بعد... ......

هو : .... ماذا بعد من خطب ألم
..

هي : لم أزلْ أهوى، ولن أبرح أهوى كل يوم

لست إلا الزورق المنسي في جوف الخضم

هو : ما جفاك المرفأ الآمن والرمل الحزين

أيهـــا الـــزورق إن البـــر مفجـــوع الســـكون

ثاكل يسأل عنك الموج، والموج ضنين!
وقصار ى ضحكات الماء في الرمل أنين
ثم يستخبر عنك الريح لكن لا تبين..
عد إلى مرفئِك الآمن عد..

هي : .... أنَّى أعود؟!..

وإذا ما التفت القلب إلى الماضي السعيد
روعته ظلمة البحر وإطباق الرعود
ورماه الجن والريح على ما لا يريد
آه كم يعصف بي الشوق إلى النور البعيد!

***

هو : وأنا النور الذي يشرق في ظلمة يأسِك.. فاملئي بالنور ما أظلم من أرجاء نفسك
واجعليني الملك الحارس من نزوة حِسك
طُوِي الأمس، فلا تبكي على أطلال أمسك..
أنا ذا أستشرف الآن إلى استجلاء شمسك..

هي : يا ضميري الراز ح الملتاع من أثقال ذنبي
والشعاع الطاهر الراقص في أطباق غيبي

آه يا شاعر لـو لـم تفسـد الحاجـةُ قلبـي!

آه لو لم يحجـ بالشيطان عنِّـي وجـه ربـي!

آه لو أصفو من الطـين لينقـى لـك حبـي!!

هو : أنـت منـذ اليـوم تسـبيحـةُ أرواح تقيـة

هي : آه مـا أروع أن أحيـا كعـذراء نقيـة!

(تتشابك أيديهما)

سنة ٤٤٩١

اغتراب..

لا تلومـوه إن بكـى فـي شـبابه

إنكـم تجهلـون هـول مصـابه

طال صبر له على مضجع النـار

فـلا تحرمـوه بـث عذابـه

ودعـوه لأنـة تخلـع القلـب

وتسـري بالوقـد مـن أوصـابه

صـيدح ضـج بالغنـاء غريبـا

واعـتلاج النـواح فـي أعصـابه

واضـطرام الـهوى القـديم يعنِّيـه

ولمـح الـهوى الجديـد لـوى بـه

والليـالي تمشـي عليـه سـكارى

ذاهـلات عـن سـعيه وطِلابـه

والزمـان المخـلاف يسـخر منـه

وهـو يرجـو شـرابه فـي سـرابه

لـــم يـــزل كلمـــا تمـــزق حلـــم

ينســـج الحلـــم مـــن خيـــوط شـــبابه

طالما خاب ظنه وهو ما زال كما كان موغلا في اضطرابه

ج

يصـــنع البســـمة الـــودود ليلقـــى..

بكـــذوب الســـنا وجـــوه صـــحابه

يرســـل الضـــحكة الخـــراب تـــدوي

كضـــجيج الجحـــيم فـــي أجنابـــه

الضـــياء البعيـــد فـــي ناظريـــه..

والســـياط الســـياط فـــي أعقابـــه

ألهبـــت ظهـــره ســـياطٌ مـــن النـــار

رمـــاد الأديـــم تحـــت ركابـــه

ونـــداء المجهـــول فـــي أذنيـــه

والظمـــاء الخفـــي فـــي أصـــلابه

خنقـــت شـــدو نايـــه منـــذ حـــين

عبـــرات شـــلت علـــى أهدابـــه

والرنين الحزين ملء حناياه..

ورجع الرنين في محرابه

عموت رأسه مسوخ أرواح

وجن صخابة كاصطخابه

وهو في هذه الحياة حديث

مستفيض منغّم متشابه

مولع بالحياة، والناس، والأشياء

والكل ضائق باصطحابه

ثقلت نفسه على من يراهم

وقديما كانوا زحاما ببابه

وقصارى نصيبه من هواهم

صفحات مطوية من كتابه

***

فإذا مات في غدٍ

فدعوه آمن الصمت تحت جنح ضبابه

شيعوا نعشه الوضيء بلحن

ضاحك المجتلى كلحن شبابه

وضعوا فوق قبره من جنى الحقل

ومن زهره.. ومن أعشابه

إنه عاش عمره يعشق الحقل..

ويسلو بالخمر من أعنابه

واسكبوا ضحكة على قبره المهجور

وامضوا عنه إلى أترابه

إنهم هونوا الطريق عليه

حينما كنتم أشق صعابه

لا تنوحوا عليه.. قد كان يزعجه

النوح وإن كان ضحكه كانتحابه

ولئن عاش وهو يفزعه الدمع

لقد مات وهو أشهى شرابه

لا تقولوا يا ليتنا قد رحمناه..

فقـــد عـــــاش ناعمـــا فـــي عذابـــه

ارحموه من قبـل أن يـذهب العمـر

ولا ترحمـــــوه بـعـــــــد ذهابـــــه

هل تقولـون عنـه: كـان.. ولكـن

أعـــرفتم مـــن كـــان قبـــل احتجابـــه

هو ومن بعد موتـه نابــه الشـأن..

وقـــد عـــــاش عمـــــره غيـــر نابـــه

كـــان حتمـــا عليـــه أن يتقضـــــى..

حســــــرات لتتشــــــعروا بغيابـــــه

هـــل فـــرغتم مـــن لومـــه وأذاه؟!

فـــا عكفوا ســـــاعة علـــى أعتابـــه

أنبـــوا روحـــه علـــى أنـــه مـــات

فقـــــد مـــــات غصـــــة بعتابـــــه!

فـــــإذا زرتمـــــوه لا تحرمـــــوه

مـــن عبيـــر الإخـــاء تحـــت ترابـــه

زودوه ببسمة يقتنيها
بعد قطع الموصول من أسبابه
أنا أدرى به.. فقد عاش يرجو
أن يشع الوداد من محرابه
***
حظه أن يبش إخوته فيه
وأن يعطفوا على ما يجابه
وهم العصبة التي كانوا فيها..
أفقا يرتجي انهمار سحابه
جابهوه ببأسهم منه عسفاً
ومضوا يسخرون من آرابه
يئسوا منه يأسةً تطفئ الشمس..
وإن ظل مارجا في انتهابه
سكبت نفسه على الناس فيضا
فاستهالوا عليه فيض انسكابه

سفهوه في حزنه، وهواه

وأساه، وبِشْره، واكتئابه

ورموه بخيبة ألجمته..

ومضوا يعجبون من إجدابه

كم يستوهب المحبة منهم

فلماذا لم يحفلوا بأتهابه؟!

لو يبيعونه حديث إخاء

أو صفا عمره لاشترى به

كم رأى الناس يكبرون مراميه

فولّى مستهزئا غير آبه

والشقي الشقي من وجد النُّعمى غريبا

والبأس من أحبابه

إنهم – يا عفا الله عنهم-

جهلوه فعجلوا بخرابه

حسبوه يبغي ثراء ومجدا

عجبـــا كيـــف أخطئـــوا فـــي حســـابه

هـــو يبغـــي الســـلام والعـــدل للنـــــــ

ــــــاس جميعـــاً وذاك بعـــض رِغابـــه

وهـــو يرجـــو انبثـــاق نـــور جديـــد

فـــــــدعوه لحلمـــــــه واغترابـــــه

سنة ١٩٤٣

بقايا من قصيدة ممزقة

يا (دلاتون[1]) كيف عهدك من السمار من بعد ما انقضى عهد أنسي؟!

كيف جميزة بشاطئك المنسي، عهدها في القلوب ليس بمنسي!؟

أنا في ساحة الوغى صنو بأسٍ

وعلى سرحة الهوى نضو يأسي..

سنة ٢٤٩١

---

[1] قرية الشاعر.

ترانيم

أنا الملاح قد تهت عن الشطآن فــي بحــرك
وأضوى جسمه النيـة، فرديـه إلــى بــرك
أنـا الطـائر مــا ينفـك رَّفافـا علـى وكـرك
ويا للطير إن حامت على وكرك من نسـرك!
أنا الذائد يا روضي.. جموع النحل عن زهرك

***

أنـا المستشرف العجلان قاتلــتُ علــى وردك.
وحـطمت زحـام النــاس مـن منتهـى قـدك.
ولن أطلب رِي النار مـن ثغـرك أو خـدك
ولكن من مدام الروح يسـتمرح فــي ودك..
فما أعذب خمر الروح؛ إذ تُمزج من خمـرك!
ج

***

كتاب العمر مفتوح على الفجوة مــن نحــرك
ولـن يقرأه غيري ولـن يقـرأ مـن غيـرك..
وما أخشى على حبي من صـدك أو هجـرك
ولكن من فجاءاتٍ تثير الشـك فــي أمـرك!

فلا تستوئدي الطفل الذي شب على صدرك

***

يقول الناس -يا للناس من عباد أغراض-:
أما تترك هذا الوادي المحل، لأرباض!
فيا من جهلوا الحب: هنا جماع أنقاضي.
هنا الحاضر، والمستقبل البسام، والماضي..
دعوني.. إنني أؤمن بالحب ولن أشرك..

***

دعي الناس وما قالوا فإن الناس في غمره
وما أنت وما الناس!! وما أنت سوى فكرة
أحب هيامك السحري في عالمك: الفطرة!
وأمقت صورة الإنسان فيك تحدها بشرة..
وإن كنت أرى مجدي رَّفافا على ثغرك

ج

***

أغار عليك يا حبي من مستشعري فضلك
وإن لم يطعموا فيك، ولم يسعوا إلى وصلك
وأخشى ألسن الناس وإن عظَّمن من نُبلك

وتذكيني قلوب الناس؛ إذ تلتف من حولك
فأعطيك نياط القلب كي تسبل من سترك
ج

***

لقد ضيعت أيامي وأحلامي بواديك
لكي يخلص تفكيري وإحساسي لحبيك..
ولم أمسك سوى الأصداء من ذكرى لياليك
فناجيني، فما أحلى حديث المجد من فيك!
وما أروع أنفاسك تستشرق من صدرك

***

خريف العمر في ريا الربيع الحلو قد آنا
فجازي عابدا قدم زهر العمر قربانا
وألقي لي بأيامك، أشدوهن ألحانا
ولا تستقبلي في ركنك العلوي إنسانا..
فحسبي منك ألا تصرعي غيري من سحرك!

***

هبي لي دمعك الدري في مأتم أيامي!
وصبي أقدس الماء على أطلال أعلامي!

وزكـــي لـــي بالحرمـــان آمـــالي وآلامـــي..
فإلهامي هو الحرمـان يـا مبعـث إلهـامي
ورديني لحلو الشدو لا أنفـــك عـن ذكـرك.
ج

***

لئن أنكرت مني حزني المشبوب فـي عيـدي
وهـــذا الألـــم النـــائح فـــي بهجـــة تغريـــدي
وإن أنكرت عكازي، ولما يستقم عـودي
ألا فلتنكـــر ي أنـــك قـــد أكثـــرت تســـهيدي
فما أفسد أعيادي غيـر الشـك فـي أمـرك!

***

معاذ الله أن نشكو مـن ضـيمك أو ضـيمي
ولكن خِّلصي عقلـي مـن معتـرك الـوهم
هلمي استنقذي نفسي مما شب فـي جسـمي
وأخلي لي سماء القلب كيما تطلعي نجمـي..
فألقى فيك ما يبعد هـذا الليـل عـن فكـرك

***

دعينا من ركـام الأرض ذات القـال والقيـل
وبحـــران الأحاســيس وأوهـــلم الأباطيـــل
وسيري بي إلى السدرة في أنغـام أرغـولي
وغنـي أعذب الألحـان فـي ركـب تراتيلـي
كما رنت نواقيسـك تـدعوني إلـى ديـرك

***

كلانـا لم يـزل ينفـق فـي الأوهـام أيامـه
ألا فلنتـــرك الكهـــف الأثينـــي[1] وأوهامـــه
فلن نملـك يــا حبــي أن نحطـم أصـنامه
ولن يقوى بروموثيوس[2] أن يجلـو إظلامـه
أما ثرنا على القيدين: من أسرِي ومن أسرك!

سنة ٠٤٩١

---

[1] إشارة إلى نظرية الفيلسوف الأثيني أفلاطون.

[2] صانع البشر وسارق نار الآلهة، كما تروي الأسطورة اليونانية.

موشّح ناقص

الهوى يمسك مني بالزمام

وحياتي كلها حلم غرام

وبأعماقي شريد مستهام

كلما لاح له حب أقام

ثم يمضي في ضجيج أو سلام

مستخفيا مثلما يمضي الغمام..

ثم يمسي بعد شبوب الأُوام!

***

اعذري أشواق صب مدنفِ

يتنزى في جحيم الشغفِ

ذاق من حبك ما لم يصف

وإذا وجه لم يعترفِ

شفَّه الناي وإن لم تعرفي.. فغدا

كدموع ثرة لم تكف.. وبدا

كمعـــا ٍنلا يؤديهـــا
كــــلام

كرمــاد تحتــه ومــض الضــرام!

***

قلــت إنّــي شــاعر لــيس ينــي..

يعبــد الفتنــة فــي كــل مكــان

فــدنت منــي وقالــت إننــي

أعبــد الشــعر وأهــوى الشــعراء

قلــت: إنــي هالــك يــاليتنــي

ضــعت فــي إحــدى دعابــات القضــاء

كم صبايا هجن بي يصرعنني

كلمــا اهتــاج فــؤادي الموســم

عمــركن الله مــا تحســبنني؟!

أنــا أعصــاب ولحــم ودم!

سنة ۹۳۹۱

إلى فاتنة..!

تهادى عطرك الـدافئُ يدعوني إلـى وكـرك
وعرفُ الرغبة الأخَّاذ يستمرح في عطرك
فلما عجتُ ردتني النواقيس إلى ديرك!
فمن أنت رعاك الله؟! قد حيرتُ في أمرك!

***

رؤى متناقضاً تلأنت: فيك بداوة الحس
وفيك ليونة الأحلام حين تسيل من رأسي..
وفيك ضراوة الحزن الذي يضمره أمسي
والمستقبل الباسم تستشرفه نفسي!

***

وفيك تعابث العذراء تستضحك للحب
وفيك تهافت الطير الذي يشقى على الحب
وفيك ترقرق الأنداء تستلقي على العشب
وفي ناديك صاغ الله عبادك من قلبي..
وصبّ السحر في عينيك والصرعة في لبي!

***

فمن أنت، أبيني لي؛ فقد حيرت في أمرك؟
وهذي صورة العذراء تستلقي على نحرك
وهذي الفتنة الحمراء تستوقد من ثغرك
وهذي رجفة الأحلام تسترسل من شعرك
وفي نهديك خفق اللهفة المضناة في صدرك!

سنة ٠٤٩١

نَجمة..

" من وحي قصيدة نجمة المساءللشاعر
الفرنسي ألفريد دي موسيه"

الزعزع النكباء قد هـدأت وعاودنـا السـكون
والريح قد بعدت ولم تُخلف لنا غيـر الأنـين..
والحور والصفصاف تبكي فوق أطلال الغصون
وفراشة الليل الحزين تــئن فــي نغـم حـزين.

***

ووجدت صاحبتي الحزينة في علاهـا حـائرة..
رحماك قد نام الوجود، فمـا بقـاؤك سـاهرة؟!
وتحمل الرعيـان يزجـون الشـياه الخـائرة
فعلام ترتعدين يـا أمـن النفـوس الشـاعرة؟!
ج

***

أفقــدت شــيئا فــوق هامــات الــتلال النائمــة؟
فتســلّقت قــدماك هاتيــك الســفوح الحالمــة؟

تتفرسين معالم الدنيا البعيدة واجمة؟
عجبا لصاحبتي الحزينة حين تنظر باسمة!

***

تتحدرين على التلال الخضر من أعلى السماء
فكأن طيفك دمعة تجري على ثوب الماء
وتراقبين مسارب القطعان يزجيها الرعاء
وكأن بسمتك المضيئة في الدجى ومض الرجاء..

***

تتهافتين على حبيبك من ذراك السامق
أفديك في وسط الدجنَّة من فؤاد عاشق
يرنو إلى الدنيا فيخلعه نزوع الوامق
ويكاد يسقط من جوى حرمانه من حالق.
ج

***

أو تقتفين على أديم الشط آثار الحبيبِ؟
تفتشين عليه فوق الشط في العشب الرطيب؟
أم أين تختبئين يا أختاه في الأفْق الرحيب؟!
وتخلفين الناس والأشياء للصمت الكئيب؟!

أم أنت يا أختاه مثلـي، قـد تجافـاك الجميـع؟
فظللت تنتحبين – وادءز ءنا- بمعقلـك المنيـع؟!
وتسـاقطت حبــات نفســينا كحبــات الشــموع
لا.. بل أنيبي! ليس من هجروا بأهـل للـدموع
ج

***

يا ربة الألم الرفيـع صــباح آلامــي تـنفس.
ألمي المقدس لست أرخصه لشيء لـم يقـدس.
صونيه من ألم التراب؛ فإن آلامــي سـتتنهى.
محراب آلامـي وآمـالي الرفيعـة لا يــدنَّس.

***

حطَّمتُ معبودي وجئتُ إليك ألـتمس المعونـه
فإذا أنين الريح في الآفاق يشـبه لـي أنينـه..
وإذا انسكاب الليل بالأحلام يشـبه لـي سـكونه
عجبا أجئت إلى حرور الوجد أم ظل السـكينه؟

***

انتفاضة

ثورة في الدماء لا تكتموها

أطلقوها بحرها أطلقوها

ثورة في الصدور تعوي وتغلي أمها

النار والحديد أبوها حشرجت

في الصدور ستين عاما[1]

فاسألوها ماذا دهاها.. اسألوها!

غيمت بالسواد، بالذِّكرَ الخرساء، بالهول جافلا مشدوها!

أطلقوها فطالما خنقُوها!

***

أطلقوا الثورة التي في الدماءِ..إنها

ثورة الملايين عانت

ج

شظف العيش واعتصار الدماء

([1]) هي مدة الاحتلال البريطاني الذي بدأ سنة ٢٨٨١.

وحياة سوداء خضبها الحرمان يلتاث في الم□نى البيضاء

وشقاء يفضي إليه شقاء

وبلاء يمشي إلى بلواء

كتل الكادحين رنحها البؤس فهبت كرغبة الإنشاء

إن هذا التاريخ للدهماء!

سنة ٢٤٩١

العودة

مضى الليل ولم يترك سوى أطلال أيامي
فغني لي؛ عسى أطرب من أشباح أنغامي!
وسيري في ركاب الريح، يا ربة آلامي
وطوفي بي طواف الروح في موكب أوهامي
ولا تسترجعي أمسي.. وتُسقينيه في كأسي
فما يبتعث الماضي سِوى الظلمة من نفسي!

***

مضى العمر ولم أبلغ سوى الشِّقوة في عمري
وقد كنت طموح النفس للذروة من دهري
لئن لم أبلغ الذروة، فليستعلِها قبري
ومجدي الفائت المطمور فوقي "باقة الزهر"!

***

إليَّ اليومَ يا ربة آلامي أناجيكِ
خذي نايي، فقد تنسكب الألحان من فيك!
لقد عطِّل هذا الناي مذْ فارقت واديك

فلـــم أهتـــفْ بألحـــاني أن خنـــتُ لياليـــك

***

تُصـــبني رؤىَ الحســـن ونـــادتني مغانيـــهِ وهزتنـــي إلـــى الـــدنيا التماعـــاتُ مجاليـــه وأغرتنـــي علـــى الصـــبوة أنـــداءُ لياليـــه

فأعددت ركابي نحوه.. وانسبت فـي تيهـي!..

***

وقلت: "الآن أستجلي الشباب الذاهب الآنـا ويطويني فتون العمـر.. فـالأُنس الـذي كانـا وأبقي بعـض أيـامي.. وأطـويهن نشـوانا.. فقـدقـدمت زهـر العمـر لـلآلام قُربانـا

***

وأقبلتُ على الغيد، ومـا الـدنيا سـوى الغيـدِ وأفرغت سـلافَ الصفو فـي جـوف أناشـيدي ولكنـي وجـدت الغيـد يسـخرن بتغريـدي وينسبن إلى الفتيـة مـن مسـتأطري العـود!

***

هي المرأة لا تخلص، إن لم يغرِها مطلب
وما تقدر من شخص سوى الشارة والمنصب
قوام كعصا الساحر.. والدهر بها يلعب!
وكأس من حمياها منيات الهوى تُسكب..

***

فسيرى بي يا ربة آلامي إلى السدرة..
فإني ضقت بالإنسان لما أفسد الفطرة.
ألا يا ليتني همت كما هامت به فكرة
ولم ألق إلى الأرض كيانا سجنه بشرة!

***

لقد عدت إلى واديك يا ربة آلامي
أحلِّيني – قد طُهرتُ- في معبدك السامي
هبي لي من أساك الحلو ما يبعث أنغامي
لقد ضاقت بي الدنيا.. فأنى لي بأوهامي
مضى الليل.. فنوحي على أطلال أعوامي
ولا تسترجعي أمسي وتسقينيه في كأسي
فما يبتعث الماضي سوى الظلمة من نفسي!

نُشرت بمجلة الثقافة ١٩٤١

الطارقة المجهولة

أصديقةَ الغيب المحجب في تلافيف القضاء
محرابك المرفوع في قلبي تجافته النساء
لما رأين بخوره الفواح من دخن العداء
ونشيده الوثنيّ لعنة صاخب ضل السواء
فاستروحي في الساحة الحمراء أنسام الدماء!

***

وتساوقي معنى فمعنى في انفساح الخاطر
وتراسلي لحنا فلحنا، من أنين مزاهري
وتألقي بلورة تهتاج فن الساحر
وتناوحي بالذكريات يثِرن وجد الحاضر.
واسترجعي الصبوات من لهب الشباب السادر..

***

أيام لا أمسي يدافعني إلى وادي الظلال
ويثير من كهف الزمان غدي بغيبـيّ الصلال
ينفُثن في ظل الضباب سمومهن على المعالي
ويحِلن هاماتِ الجبال روّاد الجبالَ حتوف
كلا.. ولا يومي يستقاد إلى خيال! خيالٌ

سكن الزمان فلا تثيري فيه أطـراب السـكون
لا توقظي من رقـدة النسـيان أوهـام الفنـو
ما عاد في شبابي الثكلى سـوى هـذا الأنـين
ماذا تُرَدِّدي الطارقاتُ القلـ ـبِمـن قلـــبٍ حـزين
قد أغلقته طوارقُ الـدنيا علـى كنـز دفـين؟!

***

ضنَّ الزمان على القلوب به سوى هـذا القليـ ـبِ
يرعاه من عسف الزمان ومن جنايات المشـيب
ويذود عنه طوارقَ الأحداث في الزمن الكئيـب
ليظل تحت صفائح الوجدان كـالعود الرطيـب
وكأن قلبي ما انطوى قلب المحب على حبيـب

***

فقفي على قلبـــي مكانـــا حارسـا دون النســاء
وتـحدري فيضـا ينقي النفس من عشـب العـداء
وتـــألقي نجمــــا يمـــد إلــــيَّ أســـباب الرجــــاء
وتروحي في الساحة الحمراء أنسـام المسـاء..
أصديقة الغيب المحجب فـي تلافيـف القضـاء

سنة ١٤٩١

هذا الريح![1]

أنا متعب من هذه الريح التــي تســري مســاءً
أنا متعب منها وإنْ هبت علــى الــدنيا رخــاء

وقذتْ فؤادي من لطائمها، فأقصي الريح عني
ضلت مساريها الرياح.. فما يردن اليوم مني!؟

لم تترك الأحداث فــي قلبــي لســارية فضــاء
هدأت بأطوائي الذئاب.. فـلا تثيرهـا عـواء!

***

أنا متعب من هذه الريح التي هامـت صـباحا
فيمــلــتهــيم؟ وأي فاجعــةأحالتهــلنواحــا؟

إن كان من أجل الذي أبكي عليه؛ فأرسليها..
بل لا.. فأشجاني تغار عليه منـك، فأمسـكيها

لا تجعلي الألم الحرام على سوى قلبــي مباحــا
وحذارِ - إن حتم النوى- أن تُتبعي ركبي نباحا!

---

(1) الحياة كأس خمرها الحب (بودلير).

أنا متعب من زعزع ثـارت علــيَّ مـن الغـد
ذعرت لثورتها المشاعل فـي حنايـا معبـدي

وارتاع منها عطري الفواح في جوف المجامرِ
وتأوهت جزعا على إجفاله خُــرْسُ المزاهـر

فقفي على بابي، ولا تفضي إلــيَّ، وأنشـدي..
من خارج المحراب ألحان الصبا.. ثم اسـجدي!

***

أنا متعب من هذه الريح التي جنَّـت بصـدري
ضجت بأرجائي العناصر واصطخبن لأي أمر؟!

مَـن لي بساحرة عجوز كالزمان تعيد أمســي؟
وترد في تهويمة سحرية أطـراب كأسـي؟!

وترد أيام الشباب الغض من أنيـاب دهـري؟!
هيهات!! قد أودعت أمسي والصبا أحناء قبــرِ!

سنة ١٩٤٢

تجربة..

عقابيل وجد ليس يخبو سعيرها..

وأطياف ذكرى لا يطاق هجيرها

وأشباح أيام حبتني

بأنسها وأعلاق ليلات حمتني ستورها

وأسباب حب لا يبت وشيدها

يوثقها شجوي، فيقوى مريرها

وموكب أحلام أجنته أضلعي

يتابعها في حيث كان مسيرها

لي الله في القلب الذي سامه الهوى

نزوعا إلى الدار التي لا أزورها

وقد كان يدنيه من الدار حقها..

فأصبح يقصيه عن الدار زورها!

فيا دار صوني بعض ماضي واحفظي

تباريح شوق ليس يخفى زفيرها

ولا تجهلـــي أن التـــي تكتمينهـــا
أســيرة أطرابـــي، وأنـــي أســـيرها
وأن رسـيس الحـب مـــازال عالقـــا
بــأغوار أعمـــاقي، وفـيهن دورهـــا
ولكنهــاأنّـــت لعلـــي أجيرهـــا
من القدر الجـاري، فكيـف أُجيرهـا؟
لحـــى الله أرضـــا أنزلتهـــا غريبـــة
ســجينة عـــادات جلتْهـــا قبورهـــا
فإن غربت عنــي، ففــي القلـب مشـرقٌ
لهـــا بأحنـــاء الضـــلوع حرورهـــا
ولـي مطلـع فـي قلبهـا أينمـا مضـت
وموئـــل آمــالي الكبـــار شـــعورها
مــلأتُ ريـــاح الليـــل شـــكوى وطالمـــا
ســرى بـــدموع العاشــقين مطيرهـــا
كلانا طليح البـين يـا ريـح فـاعجلي

فأنــت ســفيري عنــدها، وســفيرها

أخاف فتور الوجـد يـا ريـح فاقصـفي

فأفتــك مــا يـردي النفــوس فتورهــا

وقــولي لهــا إنــا صــريعا صــبابة

تســعر نيرانــا. فأيــن نورهــا؟!

وإن كئــوس الحــب تــدمي شــفاهنا

وتــرعش كفينــا. فــأين خمورهــا

وإن بحلقينــا مــن الــراح لذعــةً

فــأين دمياهــا وأيــن ســرورها؟

وكــان قصــارانا مــن الــدهر أنهــا

أميــرةُ أيــامي وأنــي أميرهــا

لقــد حجبوهــا فــي الجنــوب تجبــرا

فضــاع بأرجــاء الشــمال عبيرهــا

يقولون: هــشٌّ القلـب يهـوى صـغيرة!

فأعــذب أشــياء الحيــاة صــغيرها!

أجل لقها النفس وهي غريرة

وخير ظباء العالمين غريرها

ويعذلني فيها لئيم يلومها

فليت عذيري في هواها عذيرها

لقد شاق هاتيك الحمامة إنني.

أخو غمرات تتقيه صقورها

وكان طلابي من هواها ميسرا

فما بالها قد عاد صعبا يسيرها؟!

لقد عرضوا للقاهرية بالأذى

وطاشت حلوم يدريني نذيرها

وعربد مخدوع يرى دون حاجتي

مسافا تظن لا يطاق عبورها

فإن تنكري هذا الحديث فإنه

نفاثات وجد لم تطقها صدورها!

سنة ١٩٤٢

أتبكين؟!

أتبكين؟! دعي الدمع لمن كان به أحرى
أتبكين؟! لقد ناحت بقلبي الرعشة الكبرى
وقد بات شعاع الفجر نعشًا يحمل الفجرا
تنوح وراءه الريح، وتبكي الحقل والطيرا
كفى دمعا! لقد ضقت بهذا الدمع ذرعا
وبي من حبك المجنون أضغاثُ رؤًى
حيرى وفي صدري تدب النار تحرق
حلمي البكرا
وأنت الصحو والغفلة والحاضر والذكرى!وأنت
البسمة البيضاء والأهزوجة الحمرا
وأنت سلامي الحاني، وما يملؤني ذعرا
وأنت تفاهة حمقاء قد دلتُهلو قرا
وأنت قصيدة عجماء قد صيرتُها شعرا..
صنعتك دميةً حسناء؛ كي أعبدها سرا
وكي ترهقني كفرا
عبدت سواي في ديري، و جن بربة أخرى
لأنت هوان أيامي، وما يملؤني كِبرا..
أتبكين!؟ وفيم الدمع أنت خطيئتي الكبرى..
حملتك في الهوى وزرا، وطبت على الهوى وزرا!

سنة ٥٤٩١